

١

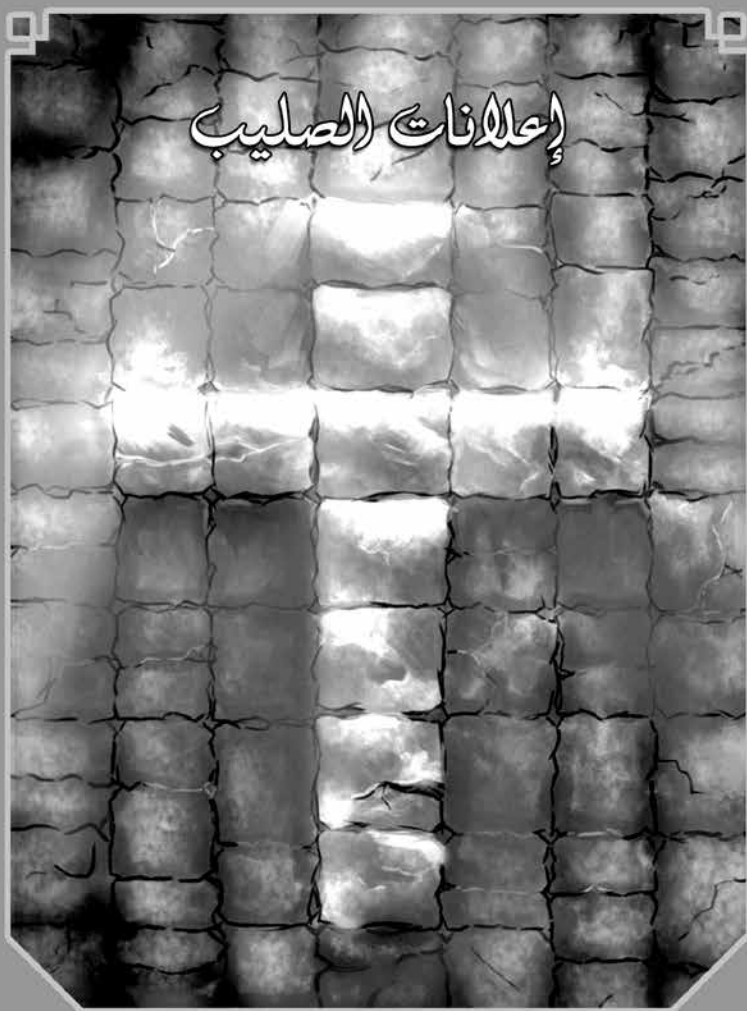
أَخْبَيْتُ شَرِيعَتَكَ



القرن
ثاني سمعان يعقوب



أُخْبِنْتُ شَرِيعَتَكَ



القسن
نبيل سمعان يعقوب

أَحَبُّ شَرِيعَتِكَ

(بَاقَةُ مِنَ الْعِظَاتِ)

تَأْلِيفُ

الْقَس، نَبِيل سَمْعَان يَعْقُوب

الطبعة الأولى: ٢٠١٨ - دمشق.

الكتاب: أَحَبَّتْ شَرِيعَتَكَ (١).

المؤلف: القس، نبيل سمعان يعقوب.

الترقيم الدولي: ISBN: 978-9933-0-0547-4

كلّ النصوص الكتابيّة مأخوذة من ترجمة (البستاني- فاندايك). وكل العبارات الواردة بين قوسين ضمن الآيات، هي إضافة من الكاتب للإيضاح.

جميع حقوق الطبع أو إعادة النشر محفوظة للمؤلف وحده، ولا يجوز استخدام أو اقتباس أي جزء منه دون إذن خطي مسبق من المؤلف.

التنفيذ الطباعي: مطبعة باب توما

دمشق، سورية.

المحتوى

* مقدمة .

- ١٠ (١) معاني الفصح .
- ١٧ (٢) لماذا التطابق بين الرمز والمرموز إليه ضروري ؟
- ٢٥ (٣) معاني الصليب .
- ٣٤ (٤) إعلانات الصليب .
- ٤٠ (٥) ماذا فعل الجنود عند الصليب ؟
- ٤٧ (٦) أناس حول الصليب .
- ٥٤ (٧) كلمات يسوع على الصليب .
- ٦٣ (٨) نتائج صلب المسيح .
- ٧١ (٩) الافتخار بصليب المسيح .

أَحَبُّ شَرِيعَتِكَ

* مقدمة

يتضمن هذا الكتاب مجموعة من المواعظ التي أُلقيت على منابر الكنيسة في أوقاتٍ، وأماكنٍ مختلفة، لتشجيع السّامع وتعزيز إيمانه، أو قيادته للمصالحة مع الله بيسوع المسيح. ولأن هذه المواعظ هي -مواعظ تفسيرية- تدور في فلك النص الكتابي الذي يحفظ المتكلّم من الشرود والتوهان في بحر الكتاب المقدس، فهي بلا شك ستدرّب خادم الكلمة على "تفصيل كلمة الحق بالاستقامة" (٢ تيموثاوس ٢: ١٥)، ليصبح "مقتدراً في الكتب... خبيراً في طريق الرب" (أعمال ١٨: ٢٤ - ٢٥)، يتكلّم على المنبر كلاماً يحفظ السّامع من الملل والضّياع، ويجعله مثقفاً في كلمة الله. عزيزي القارئ، أضع هذا الكتاب المستمدّة كلماته، من الكتاب العظيم - كلمة الله - التي قيل فيها: "فَتُخْ كَلَامُكَ يُنِيرُ يُعَقِّلُ الْجُهَالَ" (مزمور ١١٩: ١٣٠)، بين يديك، وأصلي برجاء أن يكون بركة لحياتك.

القس، نبيل سمعان يعقوب.

معاني الفصح

١ " وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ فِي أَرْضِ مِصْرَ: ٢ «هَذَا الشَّهْرُ يَكُونُ لَكُمْ رَأْسَ الشُّهُورِ. هُوَ لَكُمْ أَوَّلُ شُهُورِ السَّنَةِ. ٣ كُلَّمَا كُنَّ جَمَاعَةُ إِسْرَائِيلَ قَائِلِينَ فِي الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ يَأْخُذُونَ هَمُّ كُلِّ وَاحِدٍ شَاةً بِحَسَبِ بَيْتِ الْآبَاءِ. شَاةٌ لِلْبَيْتِ. ٤ وَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ صَغِيرًا عَنْ أَنْ يَكُونَ كُفُوا لِشَاةٍ يَأْخُذُ هُوَ وَجَارُهُ الْقَرِيبُ مِنْ بَيْتِهِ بِحَسَبِ عَدَدِ النُّفُوسِ. كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أَكْلِهِ تَحْسِبُونَ لِلشَّاةِ. ٥ تَكُونُ لَكُمْ شَاةٌ صَحِيحَةً ذَكَرًا ابْنُ سَنَةٍ تَأْخُذُونَهُ مِنَ الْحِزْقَانِ أَوْ مِنَ الْمَوَاعِزِ. ٦ وَيَكُونُ عِنْدَكُمْ تَحْتَ الْحِفْظِ إِلَى الْيَوْمِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ. ثُمَّ يَذْبَحُهُ كُلُّ جُمُهورِ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ فِي الْعِشِيِّةِ. ٧ وَيَأْخُذُونَ مِنَ الدَّمِ وَيَجْعَلُونَهُ عَلَى الْقَائِمَتَيْنِ وَالْعَتَبَةِ الْعُلْيَا فِي الْبُيُوتِ الَّتِي يَأْكُلُونَهُ فِيهَا. ٨ وَيَأْكُلُونَ اللَّحْمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَشْوِيًا بِالنَّارِ مَعَ فَطِيرٍ. عَلَى أَعْشَابٍ مَرَّةً يَأْكُلُونَهُ. ٩ لَا تَأْكُلُوا مِنْهُ نَيْمًا أَوْ طَبِيخًا مَطْبُوحًا بِالْمَاءِ بَلْ مَشْوِيًا بِالنَّارِ. رَأْسَهُ مَعَ أَكَارِعِهِ وَجُوفِهِ. ١٠ وَلَا تَبْقُوا مِنْهُ إِلَى الصَّبَاحِ. وَالْبَاقِي مِنْهُ إِلَى الصَّبَاحِ تُحْرِقُونَهُ بِالنَّارِ. ١١ وَهَكَذَا تَأْكُلُونَهُ: اخْتَاؤُكُمْ مَشْدُودَةٌ وَأَخْذِيْتُكُمْ فِي أَرْجُلِكُمْ وَعَصِيْتُكُمْ فِي أَيْدِيكُمْ. وَتَأْكُلُونَهُ بِعَجَلَةٍ. هُوَ فَضْحٌ لِلرَّبِّ. ١٢ فَإِنِّي اجْتَنَزْتُ فِي أَرْضِ مِصْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَأَضْرَبُ كُلَّ بَكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. وَأَصْنَعُ أَحْكَامًا بِكُلِّ إِلَهَةِ الْمِصْرِيِّينَ. أَنَا الرَّبُّ. ١٣ وَيَكُونُ لَكُمْ الدَّمُ عِلَامَةً عَلَى الْبُيُوتِ الَّتِي أَشْتَمُ فِيهَا فَارَى الدَّمِ وَاعْبَرْتُ عَنْكُمْ فَلَا يَكُونُ عَلَيْكُمْ ضَرْبَةٌ لِلْهَلَاكِ حِينَ أَضْرِبُ أَرْضَ مِصْرَ" (خروج ١٢).

مقدمة: إن أغلب الأعمال التي نقوم بها تتضمن رمزا، أو تحمل مغزى يفهمه الآخرون، وكمثال على ذلك:

- (١) عندما تضع خاتماً في يدك اليسرى فإن هذا العمل يتضمن رمزا معناه، أنك مرتبط بزواج مقدس، ولست مستعداً لإقامة علاقة مع الجنس الآخر.
- (٢) عندما تذهب لزيارة شخص في مكان بعيد متحملاً مشقة السفر حتى تصل إليه، فإن عملك هذا يتضمن رمزا معناه، أنك تحبه، ومكانته كبيرة في حياتك.

التفسير الوعظي: هكذا أيضاً على صعيد الأمور الروحية، فقد أمر الله شعبه في العهد القديم القيام ببعض الأعمال والطقوس التي تتضمن رموزاً ينبغي أن يفهمها أبناء العهد الجديد. وعلينا كمؤمنين أن نفهم هذه الرموز، أو المعاني التي تقف خلف هذه الأعمال، لنفهم بوضوح خطة الله لحياتنا.

جملة انتقالية: تخبرنا كلمة الله في هذا النص عن ثلاثة معانٍ للفصح، سنتأمل فيها بنعمة المسيح لنفهم بوضوح خطة الله لحياتنا.

أولاً- الفصح يعني، حياة جديدة (عدد ١-٢).

"١ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ فِي أَرْضِ مِصْرَ: ٢ «هَذَا الشَّهْرُ يَكُونُ لَكُمْ رَأْسَ الشُّهُورِ. هُوَ لَكُمْ أَوَّلُ شُهُورِ السَّنَةِ».

في هذا القول ترتيب جديد لأول السنة، لأن السنة عند العبرانيين كانت تبدأ بشهر تشرين الأول (الميلادي)، أو بالعبراني (أيثانيم)، ثم بأمرٍ من الرب تحولت إلى شهر (نيسان) الميلادي، أو بالعبراني (أبيب) الذي يعني البراعم الخضراء، فما هو الرمز أو المعنى المتضمن في تغيير هذا التاريخ؟

أعتقد أن الرب يريد أن يقول لهذا الشعب: إن تاريخكم الماضي قد انتهى، وصار لديكم من الآن فصاعداً حياة جديدة مكرسة للرب، عليكم أن تعيشوها.

إن تاريخكم الماضي بكل ما فيه من سنوات العبودية التي قضيتموها في مصر، المعجونة بالدُّل والاضطهاد، قد انتهت إلى غير رجعة، وإن ذكرتم منها شيئاً فلا تبكوا ألماً، بل اذكروا النعمة التي نقلتكم إلى الحياة الجديدة.

كنتم سابقاً عبيداً تعيشون لأنفسكم، أمّا من الآن فصاعداً فأنتم لستم لأنفسكم بل للرب.

هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور، لأن الفصح قد عبر بكم إلى الحرية، وأهلكم حياة جديدة تبدأ من ذلك اليوم.

والآن ماذا بالنسبة إلينا نحن أبناء النعمة، أبناء العهد الجديد، ماذا يعني لنا الفصح؟ مكتوب عن المسيح، "لأنَّ فِصْحَنَا أَيْضاً الْمَسِيحُ قَدْ دُبِحَ لِأَجْلِنَا" (١ كورنثوس ٥: ٧). إذاً المسيح هو فِصْحُنَا، وبالتالي لحظة إيماننا بالمسيح تعني أن تاريخنا بكل خطاياه قد انتهى، ونحن العيد للخطية قد عبرنا إلى حياة جديدة! "إِذَا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً" (٢ كورنثوس ٥: ١٧).

هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور. إذاً، من لحظة إيمانك بالرب يسوع المسيح فإنَّ كل ماضيكَ بما يحوي من أفعالٍ، زنا، ونجاسة، وعهارة، وبطر، وسكر، وحسد، وشهوة رديئة، وطمع، وخبث، وأشياء من مثل هذه، تُطرح كُلُّهَا في بحر النسيان.

قبل الإيمان بالمسيح فِصْحُنَا، نحن جميعاً أمواتٌ بالذنوب والخطايا. قبل الإيمان بالمسيح فِصْحُنَا، نحن جميعاً أبناء الغضب كالباقين. قبل الإيمان بالمسيح فِصْحُنَا، نحن كنا غير مرحومين. قبل الإيمان بالمسيح فِصْحُنَا، نحن آنية معدة للهلاك. لكن عندما قبلنا المسيح فِصْحُنَا "٤ اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَيِّي فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، ٥ وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ" (أفسس ٢: ٥).

إذن، بعيداً عن المسيح فِصْحُنَا، كل ما عملناه من أعمال حسنة، وكل ما قلناه، وكتبناه، حتى لو نال رضا كل الناس لا معنى له، إنه حرقٌ بالية، كتيابٌ عدّة لا قيمة لها في نظر الله، لأنّه يُعَدُّنا أمواتاً بالذنوب والخطايا. لكن عندما نؤمن بالمسيح فِصْحُنَا، حياتنا تصير مستترة فيه، وأعمالنا كلها تتركز على الإيمان به، فتكون مقبولة عند الله كذبيحةٍ سرورٍ يتنسّم منها رائحةً طيبةً.

"هَذَا الشَّهْرُ يَكُونُ لَكُمْ رَأْسَ الشُّهُورِ". من الآن فصاعداً تأمرنا كلمة الرب "فَأَطْلُبْ إِلَيْكُمْ،.. أَنْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا" (أفسس ٤: ١). و"لَا تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدَ كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ الْأُمَمِ أَيْضاً يَبْطُلُ ذِهْنُهُمْ، ١٨ إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ" (أفسس ٤: ١٧-١٨).

من الآن فصاعداً "اَطْرَحُوا عَنْكُمْ الْكَذِبَ وَتَكَلَّمُوا بِالصِّدْقِ.. وَكُونُوا لُطْفَاءً بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شُفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَاخَكُمُ اللَّهُ أَيْضاً فِي الْمَسِيحِ" (أفسس ٤: ٢٥، ٣٢).

"هَذَا الشَّهْرُ يَكُونُ لَكُمْ رَأْسَ الشُّهُورِ" "لَأَتَّكُمُ كُنْتُمْ قَبْلًا ظُلْمَةً وَأَمَّا الْآنَ فَتُورٌ فِي الرَّبِّ" (أفسس ٥ : ٨).

من الآن فصاعداً "لَا تَخْرُجُ كَلِمَةٌ رَدِيَّةٌ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحاً لِلْبُنْيَانِ، حَسَبَ الْحَاجَةِ، كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلْسَّامِعِينَ" (أفسس ٤ : ٢٩).

إن إدراكك للحياة الجديدة، كمعنى للفصح، يجعلك تفهم بوضوح خطة الله لحياتك. فإن لم تختبر الحياة الجديدة، أدعوك اليوم أن تأتي إلى الرب يسوع المسيح لكي تناولها وتختبرها.

ثانياً- الفصح يعني الوحدة (الأعداد ٣-٤).

"٣ كُلَّمَا كُلَّ جَمَاعَةٍ إِسْرَائِيلَ قَائِلِينَ فِي الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ يَأْخُذُونَ هُمْ كُلُّ وَاحِدٍ شَاةً بِحَسَبِ بَيْتِ الْآبَاءِ. شَاةً لِلْبَيْتِ. ٤ وَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ صَغِيراً عَنْ أَنْ يَكُونَ كُفُواً لِشَاةٍ يَأْخُذُ هُوَ وَجَارُهُ الْقَرِيبُ مِنْ بَيْتِهِ بِحَسَبِ عَدَدِ النَّفُوسِ. كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أَكْلِهِ تَحْسِبُونَ لِلشَّاةِ".

بحسب الوصية، لكل عائلة شاة واحدة، وإن كانت العائلة غير قادرة على استهلاك كل الشاة فبالإمكان دعوة الجار القريب ليتقاسمه معها بمقدار ما يستطيع كل واحد أن يأكل من الحمل. بتعبير بسيط لو افترضنا أن عشر نفوس تستهلك شاة واحدة، ولا يوجد في البيت إلا ست نفوس، فيطلب صاحب البيت من جاره أن يرسل له أربع نفوس يتقاسم معهم الشاة لأنه لا ينبغي أن يبقى من الشاة شيء.

إذن، كل عائلة تجتمع حول شاة، وكأني بالشاة المذبوحة المشوية هي التي تربط وتوحد العائلة، بل هي سرُّ اشتراك العائلة وغرض اجتماعها. فالفصح إذن، يعني الوحدة.

فماذا بالنسبة إلينا نحن أبناء العهد الجديد؟

طالما أن المسيح فصحنّا، يكون أيضاً سرّاً وحدتنا. فكما كان الشعب كله في العهد القديم يجتمع حول الفصح، هكذا في العهد الجديد، الكنيسة بكل أفرادها تجتمع

حول المسيح. وكما كان الشعب في العهد القديم مؤلفاً من عائلات مختلفة العدد، تجتمع كل واحدة منها حول الفصح، هكذا في العهد الجديد، الكنيسة أيضاً مؤلفة من عائلات -جماعات- تجتمع كل منها حول المسيح. بعض هذه الجماعات عشرون شخصاً، وبعضها ثلاثون، وبعضها مئة، وبعضها الآخر ألف، وهكذا... وكما أن كل العائلات في العهد القديم هربت من الغضب الآتي بسبب دم الخروف المرشوش. هكذا نحن أيضاً أبناء العهد الجديد، إننا جماعات -عائلات- هربت من الغضب الآتي بسبب دم المسيح المرشوش "وَنَحْنُ مُتَبَرِّزُونَ الْآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنْ الْعُصْبِ" (رومية ٥: ٩).

من المهم أن نفهم هذا الحق، إن ما يجمع الكنيسة -سِرّ وحدتها- ليس العقائد، ولا المعجزات، ولا التعليم، ولا شخص الراعي، ولا الرسل والأنبياء، ولا حتى الكتاب المقدس، لأن هذه جميعها مع أهميتها عامل تفریق وليست عامل تجميع. إن ما يجمع الكنيسة ويعطيها الوحدة هو المسيح فصحنّا، رأس الكنيسة وبانيها، الذي قال: "لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً" (يوحنا ١٧: ٢١).

وبناء عليه، كُلُّ خدمة تُقام في أي اجتماع عبادة، ينبغي أن يكون الخادم فيها مبرراً بدم المسيح. ومن غير المقبول أن يكون الواعظ أو المرنم أو العازف أو المدبّر، أو غيرهم، خادماً لم يتبرر بدم المسيح، ولم يدرك أن سر وحدة الجماعة هو شخص المسيح. إن إدراكك لهذا الأمر يجعلك تفهم بوضوح خطة الله لحياتك. فإن لم تختبر الحياة الجديدة، التي يكون فيها المسيح، سر وحدة الجماعة، أدعوك اليوم أن تأتي إلى الرب يسوع المسيح لكي تناولها وتختبرها.

ثالثاً- الفصح يعني حتمية النجاة (١٢-١٣).

"١٢ فَأَيَّ اجْتَاَزَ فِي أَرْضِ مِصْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَاضْرِبْ كُلَّ بَكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. وَاصْنَعْ أَحْكَاماً بِكُلِّ إِلَهَةِ الْمِصْرِيِّينَ. أَنَا الرَّبُّ. ١٣ وَيَكُونُ لَكُمْ الدَّمُ عَلامَةً عَلَى الْبُيُوتِ الَّتِي أَثْمُ فِيهَا فَأَرَى الدَّمَ وَاعْبُرْ عَنْكُمْ فَلَا يَكُونُ عَلَيْكُمْ ضَرْبَةٌ لِلْهَلَاكِ حِينَ اضْرِبُ أَرْضَ مِصْرَ".

"أَرَى الدَّمَ وَاعْبُرْ عَنْكُمْ". إذن، الفصح يعني النجاة من الموت المحتّم. ومن البديهي أن نستنتج أنه لا حاجة على الإطلاق لأي شيء آخر يُضاف للدّم المرشوش لكي ينجو الشعب من ضربة الملاك المُهْلِك. الدم المرشوش يعني أن قضاء الله قد تُقَدَّ في خروف الفصح، والنجاة صارت حتمية "أَرَى الدَّمَ وَاعْبُرْ عَنْكُمْ". وفي هذا ثلاثة أمور تستحق أن نقف أمامها:

١- النجاة ليست مسألة استحقاق، أي لا ترتبط بأخلاق، أو مركز، أو نسبٍ ما، فالجميع قد نالوها بمجرد رش الدّم.

٢- النجاة ليست مسألة أعمال. أي لا ترتبط بصوم، أو صلاة، أو صدقة، أو إحسان ما.

٣- النجاة ليست مسألة فهم وتقدير لقيمة الدم. أي لا ترتبط بمقدار فهمنا لقيمة الدم من الناحية القضائية، فهي قد تمت بمجرد رش الدّم.

ما أريد قوله: إنّ الرب قد ثَبَّتَ نظره على الدم "أَرَى الدَّمَ"، وليس على الشخص المستتر تحت الدّم. ثمّ قال: "وَاعْبُرْ عَنْكُمْ"، وفي هذا كل الكفاية لتكون النجاة كليّة، أي نجاة إلى التمام.

إنه أمر رائع أن هذه الجماعة التي نجت لم تفعل شيئاً سوى الطاعة، لتتمتع بكل بركات الحروف المذبوح. فماذا بالنسبة إلينا نحن أبناء العهد الجديد؟ أقولها ببساطة: طالما أن المسيح هو فِصْحَنَا، فسيكون أيضاً خلاصنا، وحتمية نجاتنا.

تقول كلمة الله "أُجْرَةُ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتُ" (رومية ٦: ٢٣). "وَيُدُونُ سَفْكَ دَمٍ لَا تَخْصُلُ مَغْفِرَةً!" (عبرانيين ٩: ٢٢).

ماذا ينبغي أن يفعل الإنسان الخاطئ حتى ينجو من الدينونة، والغضب الآتي. أي أعمال ينبغي أن يعملها؟ تقول كلمة الرب: «آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ» (أعمال ١٦: ٣١). والمسيح قال: "هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفِكُ عَنْكُمْ" (لوقا ٢٢: ٢٠). ومكتوب أيضاً "وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا

مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ" (١ يوحنا ١: ٧). و "الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعَمَتِهِ" (أفسس ١: ٧).

إذاً، خلاصنا كخطاه لا يعتمد على أعمالنا أو استحقاقنا، أو مقدار فهمنا لقيمة الدَّم. إنَّه يتركز على شيء واحد فقط، دم المسيح المرشوش على عود الصَّليب. "أَرَى الدَّمَّ وَاعْبُرْ عَنْكُمْ"، وفي هذا كلُّ الكفاية. آمن فتخلص. الفصح يعني حتمية النجاة. وإدراكك لهذا الأمر يجعلك تفهم بوضوح خطة الله لحياتك. فإن كنت لم تختبر الحياة الجديدة التي فيها نهرب من الغضب الآتي، أدعوك اليوم أن تأتي إلى الرب يسوع المسيح لكي تنالها وتختبرها.

خاتمة: بإمكان كل مؤمن أن يفهم الرموز الموجودة في الفصح، أو يفهم معاني الفصح عندما يقرأ كلمة الله بتدقيق، فما هي معاني الفصح؟

١- الفصح يعني، حياة جديدة.

٢- الفصح يعني، الوحدة.

٣- الفصح يعني، حتمية النجاة.

إن إيمانك بالمسيح يعني بداية حياة جديدة مقدسة وطاهرة. ويعني أن شراكتك مع إخوتك المؤمنين، ووحدةك معهم تقوم على أساس شخص المسيح. ويعني أن نجاتك من الدينونة والغضب الآتي لا تركز على أعمالك الحسنة وأخلاقك الرفيعة، بل على الدَّم، والدَّم فقط، كما هو مكتوب "أَرَى الدَّمَّ وَاعْبُرْ عَنْكُمْ". إن إدراكك لمعنى الفصح يجعلك تفهم بوضوح خطة الله لحياتك.

أياً كنْتَ في هذا اليوم فأنت تحتاج للحياة الجديدة، فإن لم تختبر الحياة الجديدة، أدعوك اليوم أن تأتي إلى الرب يسوع المسيح لكي تنالها وتختبرها.

وللهناكلُ المجدِ إلى الأبد، آمين.

لماذا التطابق بين الرمز والمرموز إليه ضروري؟

١ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ فِي أَرْضِ مِصْرَ: ٢ «هَذَا الشَّهْرُ يَكُونُ لَكُمْ رَأْسَ الشُّهُورِ. هُوَ لَكُمْ أَوَّلُ شُهُورِ السَّنَةِ. ٣ كُلَّمَا كُلَّ جَمَاعَةٍ إِسْرَائِيلَ قَائِلِينَ فِي الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ يَأْخُذُونَ هُمْ كُلُّ وَاحِدٍ شَاةً بِحَسَبِ بَيْتِ الْآبَاءِ. شَاةٌ لِلْبَيْتِ. ٤ وَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ صَغِيرًا عَنْ أَنْ يَكُونَ كُفْمًا لِشَاةٍ يَأْخُذُ هُوَ وَجَارُهُ الْقَرِيبُ مِنْ بَيْتِهِ بِحَسَبِ عَدَدِ النُّفُوسِ. كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أَكْلِهِ تَحْسِبُونَ لِلشَّاةِ. ٥ تَكُونُ لَكُمْ شَاةٌ صَحِيحَةً ذَكَرًا ابْنُ سَنَةٍ تَأْخُذُونَهُ مِنَ الْخِرْفَانِ أَوْ مِنَ الْمَوَاعِزِ. ٦ وَيَكُونُ عِنْدَكُمْ تَحْتَ الْخِفْظِ إِلَى الْيَوْمِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ. ثُمَّ يَذْبَحُهُ كُلُّ جُمْهُورِ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ فِي الْعَشِيَّةِ. ٧ وَيَأْخُذُونَ مِنَ الدَّمِ وَيَجْعَلُونَهُ عَلَى الْقَائِمَتَيْنِ وَالْعَبَةِ الْعُلْيَا فِي الْبُيُوتِ الَّتِي يَأْكُلُونَهُ فِيهَا. ٨ وَيَأْكُلُونَ اللَّحْمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَشْوِيًا بِالنَّارِ مَعَ فَطِيرٍ. عَلَى أَغْشَابٍ مُرَّةٍ يَأْكُلُونَهُ. ٩ لَا تَأْكُلُوا مِنْهُ تَيْمًا أَوْ طَبِيخًا مَطْبُوحًا بِالمَاءِ بَلْ مَشْوِيًا بِالنَّارِ. رَأْسَهُ مَعَ أَكْرَاعِهِ وَجَوْفِهِ. ١٠ وَلَا تَبْثُقُوا مِنْهُ إِلَى الصَّبَاحِ. وَالْبَاقِي مِنْهُ إِلَى الصَّبَاحِ تُحْرِقُونَهُ بِالنَّارِ. ١١ وَهَكَذَا تَأْكُلُونَهُ: أَحْقَاؤُكُمْ مَشْدُودَةٌ وَاحْدِيَّتُكُمْ فِي أَرْجُلِكُمْ وَعَصِيَّتُكُمْ فِي أَيْدِيكُمْ. وَتَأْكُلُونَهُ بَعَجَلَةٍ. هُوَ فِصْحٌ لِلرَّبِّ. ١٢ فَإِنِّي اجْتَاؤُ فِي أَرْضِ مِصْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَاضْرِبُ كُلَّ بَكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. وَاصْنَعُ أَحْكَامًا بِكُلِّ إِلَهَةِ الْمِصْرِيِّينَ. أَنَا الرَّبُّ. ١٣ وَيَكُونُ لَكُمْ الدَّمُ عَلامَةً عَلَى الْبُيُوتِ الَّتِي انْتُمْ فِيهَا فَأَرَى الدَّمَ وَاعْبُرَ عَنْكُمْ فَلَا يَكُونُ عَلَيْكُمْ ضَرْبَةٌ لِلْهَلَاكِ حِينَ اضْرِبُ أَرْضَ مِصْرَ. ١٤ وَيَكُونُ لَكُمْ هَذَا الْيَوْمُ تَذْكَارًا فَعْمِدُونَهُ عِيدًا لِلرَّبِّ. فِي أَجْيَالِكُمْ تُعِيدُونَهُ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً" (خروج ١٢).

مقدمة: إن التأكد من تطابق المعلومات يقود إلى الثقة، وكمثال على ذلك:

١- عندما تشتري جهازاً وتتأكد من أنه مطابق للمواصفات، هذا يعطيك الثقة بالشركة الصانعة.

٢- عندما تذهب لزيارة مدينة، وتتأكد أنها مطابقة تماماً للمعلومات التي حصلت عليها من أحد المواقع الإلكترونية، فإن هذا الموقع يكسب ثقتك.

٣- عندما تقرأ كتاباً وتؤكد من صحة المعلومات الواردة فيه، هذا يجعلك تثق بمؤلف الكتاب.

التفسير الوعظي: هكذا أيضاً على صعيد الأمور الروحية، فخروف الفصح الذي نجا بوساطته الشعب العبراني قديماً من أرض العبودية في مصر، ونجت بوساطته أبناهم أيضاً من ضربة المهلك، وتحول فيما بعد إلى عيد سنوي، نراه يحوي كثيراً من المعاني والرموز التي تتطابق جميعها مع المرموز إليه، ربنا ومخلصنا يسوع المسيح كقول الكتاب: "لَأَنَّ فَصْحَنَا أَيْضاً الْمَسِيحُ قَدْ ذُبِحَ لَأَجْلِنَا" (١ كورنثوس ٥: ٧). إن هذا التطابق بين الرمز والمرموز إليه، يعطينا الثقة بشخص الله، ويؤكد لنا أن خطة الفداء التي تمها الرب يسوع المسيح على خشبة الصليب ليست وليدة ظرف معين، بل وليدة فكر أزلي من قبل تأسيس العالم، فكر لم يتغير، ولن يتغير، ولن يُنسخ بمشورة أخرى.

جملة انتقالية: تخبرنا كلمة الله في هذا النص عن أربعة أمور تتعلق بالفصح، وبمقارنتها مع شخص المسيح سنجد تطابقاً فريداً، يقودنا إلى الثقة بشخص الله. وبنعمة المسيح سنحاول أن نسلط الضوء على هذا التطابق ما بين الرمز (خروف الفصح)، والمرموز إليه (شخص المسيح) الذي به نجونا ليس من أرض العبودية، لكن من عالم الخطيئة، وليس من ضربة المهلك، لكن من الهلاك الأبدي.

أولاً- تطابق المواصفات بين الرمز والمرموز إليه (٥).

إن شرط تقديم خروف الفصح أن يكون صحيحاً، أي بلا عيب، فلا مرض، ولا تشوه خلقي. فماذا عن المرموز إليه (المسيح فصحننا)؟ عندما نتأمل في سيرة المسيح سنراه كما أشارت إليه الذبيحة صحيحاً، أي بلا عيب في كلامه وسلوكه وحتى أعماقه.

١- بالنسبة إلى كلامه قيل عنه: "وَكَانَ الْجَمِيعُ يَشْهَدُونَ لَهُ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ كَلِمَاتِ النِّعْمَةِ الْخَارِجَةِ مِنْ فَمِهِ" (لوقا ٤: ٢٢). لأنه لم يكن يتكلم بكباقي الناس. ولأن كلامه جليل، حق، طاهر، مُسرِّ، مُصلحٌ بملح، قال عنه المزم: "أَنْتَ أَتْبَرُّ جَمَالاً

مِنْ بَنِي الْبَشَرِ. ائْتَسَكَبْتَ النِّعْمَةَ عَلَى شَفَتَيْكَ" (مزمور ٤٥ : ٢).

عندما أرسل الكتبة والفريسيون خُداماً ليلقوا القبض على المسيح، عادوا من دونه، فقالوا لهم: "لِمَاذَا لَمْ تَأْتُوا بِهِ؟" ٤٦ أَجَابَ الْخُدَّامُ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ إِنْسَانٌ هَكَذَا مِثْلَ هَذَا الْإِنْسَانِ» (يوحنا ٧ : ٤٥-٤٦).

فمع أنّ هؤلاء الخُدَّام يقضون جُلَّ وقتهم في الهيكل أو المجمع، يستمعون إلى كلمات الشريعة، على فم أعظم المعلمين، لكنهم مع ذلك وجدوا أنّ يسوع يتكلم بطريقة لم يعهدها عند أحدٍ من قبل.

عندما حوكم يسوع أمام رئيس الكهنة، سأله عن تعاليمه التي علّمها للناس، فأجابه يسوع، "لِمَاذَا تَسْأَلُنِي أَنَا؟ إِسْأَلِ الَّذِينَ قَدْ سَمِعُوا مَاذَا كَلَّمْتُهُمْ. هُوَذَا هَؤُلَاءِ يَعْرِفُونَ مَاذَا قُلْتُ أَنَا" (يوحنا ١٨ : ٢١).

لكن على ما يبدو فإن جواب المسيح لم يُثِرْ عِنْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فتقدّم من يسوع ولطمه، "أَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ قَدْ تَكَلَّمْتُ زِدِيًّا فَاشْهَدْ عَلَى الرَّدِّيِّ وَإِنْ حَسَنًا فَلِمَاذَا تَضْرِبُنِي؟»" (يوحنا ١٨ : ٢٣).

بطرس الرسول يُعلِّق على كلمات المسيح هذه قائلاً: "الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ" (١ بطرس ٢ : ٢٣). وإذا نظرنا إلى نفوسنا نتساءل، كم نحتاج نحن كي نصل إلى تلك الصورة عينها، صورة المسيح الخالية من كل عيب؟

٢- بالنسبة إلى سلوكه، عُرف عن المسيح أنه كان يقدم المجد بشكل دائم للآب السماوي. لاحظ مثلاً عندما شفى أعمى في مدينة أريحا، قال الكتاب: "وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِذْ رَأَوْا سَبَّحُوا اللَّهَ (مجدوا الله)" (لوقا ١٨ : ٤٣).

قال المسيح في صلاته الشفاعة مخاطباً الآب السماوي: "أَنَا مَجْدُتُكَ عَلَى الْأَرْضِ" (يوحنا ١٧ : ٤). وهذا لا يتم إلا بسلوك يخلو من أي عيب.

عندما كان يسوع على الصليب قال أحد اللصين المصلوبين معه، لزميله اللص

الآخر: "أَمَّا نَحْنُ فَعِدَلٌ لِأَنَّنَا نَتَلُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا وَأَمَّا هَذَا (يسوع) فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئاً لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ" (لوقا ٢٣: ٤١).

وقال بيلاطس الوالي للشعب وهو يشهد عن سلوك المسيح: "قَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ هَذَا الْإِنْسَانَ (يسوع) كَمَنْ يُفْسِدُ الشَّعْبَ. وَهَذَا أَنَا قَدْ فَحَصْتُ قُدَّامَكُمْ وَلَمْ أَجِدْ فِي هَذَا الْإِنْسَانِ عِلَّةً مِمَّا تَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. ١٥ وَلَا هِيرُودُسُ أَيْضاً" (لوقا ٢٣: ١٤-١٥). حتى هيرودس الثعلب لم يستطع أن يجد علة في سلوك المسيح.

بطرس الرسول يشهد للمسيح قائلاً: "الذي لم يفعل خطيئة" (١ بطرس ٢: ٢, ٢). ويوحنا الرسول يشهد له قائلاً: "ليس فيه خطيئة" (١ يوحنا ٣: ٥). وبولس الرسول يشهد له قائلاً: "الذي لم يعرف خطيئة" (٢ كورنثوس ٥: ٢١). أمَّا كاتب العبرانيين فيخبر عن سلوك المسيح بهذه الكلمات "قُدُّوسٌ بِلَا شَرٍّ وَلَا دَنَسٍ، قَدْ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ" (عبرانيين ٧: ٢٦).

إن تطابق الموصفات بين ذبيحة الفصح، و(المسيح فِصْحَنَا) الذي به نجونا من الغضب الآتي، يعطينا الثقة بشخص الله، ويزيد يقيننا بأزلية خطة الله التي لا تتغير من جهة خلاصنا.

ثانياً- تطابق التوقيت بين الرمز والمرموز إليه (٦).

قال الفريسيون المحافظون عن العشيّة: إنها الوقت الذي يلي الظُّهر، عندما تبدأ حرارة الشمس بالتناقص. أي تقريباً بين الساعة الثالثة ظهراً، وغروب الشمس، مستنديين إلى قول الرب، "هُنَاكَ تَذْبَحُ الْفِصْحَ مَسَاءً نَحْوَ (قبل) غُرُوبِ الشَّمْسِ فِي مِيعَادِ خُرُوجِكَ مِنْ مِصْرَ ٧ وَتَطْبُخُ (وَتُنْضِجُ) وَتَأْكُلُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلَهُكَ ثُمَّ تَنْصَرِفُ فِي الْعَدِ وَتَذْهَبُ إِلَى خِيَامِكَ" (تثنية ١٦: ٦-٧).

وهذا يعني أنّه على العابد أن يذبح الخروف ويشويه ويأكله قبل غروب الشمس، ثم يذهب إلى بيته في الغد، الذي يبدأ من لحظة غروب الشمس.

والآن، ماذا عن المسيح فِصْحَنَا، المرموز إليه بتلك الذبيحة؟

كان يوم السبت عند العبراني يبدأ من غروب شمس يوم الجمعة، وينتهي بغروب شمس يوم السبت. والكتاب المقدس يخبرنا أنَّ يسوع مات يوم الجمعة قبل غروب الشمس ببضع ساعات، أي في الساعة الثالثة ظهراً، الساعة التي يُذبح فيها حروف الفصح. "وَفِي السَّاعَةِ الثَّاسِعَةِ (الثالثة ظهراً) صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ... وَأَسْلَمَ الرُّوحَ.." (مرقس ١٥ : ٣٤ ، ٣٩).

لو لم يمِت يسوع قبل غروب الشمس، فهذا يعني أنَّ نبوة إشعياء عن المسيح، "وَجَعَلَ مَعَ الْأَشْرَارِ قَبْرَهُ وَمَعَ غَنِيِّ عِنْدَ مَوْتِهِ" (إشعياء ٥٣ : ٩). لن تتحقق، لأنَّ الجنود سيُضْطَرُّون لقتله، وإنزاله عن الصَّليب، ثمَّ دفنه في مقبرة الأشرار، كما فعلوا بالصلَّيين المصلوبين معه. لكن الذي حدث تطابق مع النبوة، حيث مات يسوع قبل الدخول في يوم السبت بوقت كافٍ، إلى درجة أن يوسف الرامي ذهب إلى بيلاطس واستأذنه في إنزال جسد المسيح عن الصَّليب، ودفنه. ولمَّا أذن له، ذهب، فاشترى من السوق كَتَّاناً، وعاد إلى مكان الصَّلب، وأنزل الجثمان، ثم لَقَّه بالكَتَّان، ونقله إلى قبره - قبر يوسف الرامي - ودفنه، ودرج عليه حجراً كبيراً، لتتم النبوة التي تقول: إنه يُدفن في قبر غني.

قال الرب يسوع لتلاميذه: "لَا بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ" (لوقا ٢٤ : ٤٤). وهكذا في الصَّليب تمَّ المسيح الذي به نجونا من الغضب الآتي، كل ما هو مرموز عنه في ذبيحة الفصح من جهة الوقت.

إن تطابق التوقيت بين ذبيحة الفصح، و(المسيح فِضْحَنَا) الذي به نجونا من الغضب الآتي، يعطينا الثقة بشخص الله، ويزيد يقيننا بأزلية خطة الله التي لا تتغير من جهة خلاصنا.

ثالثاً- تطابق الإعداد بين الرمز والمرموز إليه (٨-٩).

تميّزت طريقة إعداد حروف الفصح الذي اجتمعت حوله الجماعة بعدة أمور:

١- لم يكن حروفاً مسلوقةً أو مطبوخةً، لكنه كان حروفاً مشويةً بالنار، "لَا تَأْكُلُوا مِنْهُ تَيْمًا أَوْ طَبِيخًا مَطْبُوحًا بِأَلْمَاءٍ بَلْ مَشْوِيًا بِالنَّارِ". والسؤال لماذا؟ الجواب

بكل بساطة، لأن الخروف المطبوخ ينبغي أن يُقطع إلى قطع حتى يؤكل، أي أن تُكسر عظامه، لكن عندما يُشوى بالنار تبقى عظامه دون كسر، وهذا ما تقوله الوصية، "وَعَظْمًا لَا تُكْسِرُوا مِنْهُ" (خروج ١٢: ٤٦). وبالمقارنة مع المرموز إليه، المسيح فَصَحْنَا، تقول كلمة الرب: إنه لكيلا لا تبقى الأجساد على الصَّليب يوم السبت، طَلَب اليهود من بيلاطس أن تُكسر سيقان المصلوبين لكي يُعجلوا بموتهم، ولمَّا أتى العسكر لينفذوا الأوامر، كسروا ساقَي اللص الأول والثاني، لكن عندما جاؤوا إلى يسوع وجدوه قد مات، فتركوه ولم يكسروا ساقيه، "لَأَنَّ هَذَا كَانَ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «عَظْمٌ لَا يُكْسَرُ مِنْهُ»" (يوحنا ١٩: ٣٦). وهكذا تطابق الرمز مع المرموز إليه على الرغم من الفارق الزمني الكبير بينهما، والذي يمتد إلى مئات السنين.

٢- كان خروف الفصح مشوياً بالنار، رأسه مع أكارعه وجوفه. وفي هذا الرمز، نرى المرموز إليه، المسيح فَصَحْنَا، الذي انشوى على الصَّليب بنار عدالة الله لأجلنا، وقد احترق سيف الألم كلَّ جسده حتى أعماقه.

قال عنه المرنم بروح النبوة واصفاً آلامه: "خَسَفَتْ مِنَ الْعَمِّ عَيْنِي. نَفْسِي وَبَطْنِي. ١٠ لَأَنَّ حَيَاتِي قَدْ فَنِيَتْ بِالْحُزْنِ وَسِنِينِي بِالشَّهْدِ. ضَعُفْتُ بِشَقَاوَتِي قُوَّتِي وَبَلَيْتُ عِظَامِي" (مزمور ٣١: ٩-١٠). وقيل عنه: "رَجُلٌ أَوْجَاعٌ وَخُتْبَرُ الْحُزْنِ.. مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا" (إشعياء ٥٣: ٣، ٥).

٣- كان خروف الفصح يؤكل مع الفطير على أعشاب مُرَّة، فيلإي ماذا يشير ذلك؟ من المعروف أن الفطير هو خبز غير مختمر -من دون خميرة- والكتاب يقول عن الفطير: "تَأْكُلْ عَلَيْهِ فَطِيرًا خُبَزَ الْمَشَقَّةِ لِأَنَّكَ بِعَجَلَةٍ خَرَجْتَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِتَذْكُرَ يَوْمَ خُرُوجِكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ" (تثنية ١٦: ٣). فإذن، الفطير يرمز إلى المشقة، أي تذكيراً بما واجه الشعب من متاعب ومصاعب في أرض مصر، ولاسيما معارضة فرعون لخروجهم.

بالنسبة إلينا كمؤمنين فإن الفطير الذي كان جزءاً من وليمة الفصح الرمزية يذكّرنا بما واجهناه من متاعب ومصاعب، ليس في أرض مصر، لكن في أرض الخطية

حين كنا عبيداً للشيطان الذي كان يعارض نجاتنا من قبضته الفرعونية بكل قوة. لكن شكراً لله، الفخ انكسر، ونحن انفلتنا، وصرنا أحراراً بنعمة المسيح، لنقول كما قال المزمع: "حَلَلْتُ قِيُودِي. ١٧ فَلَكَ أَذْبَحُ ذَبِيحَةَ حَمْدٍ" (مزمور ١١٦: ١٦-١٧). أما بالنسبة إلى الأعشاب المرة، فأعتقد أنها تشير إلى المرارة التي ستواجهه العبراني في أثناء خروجه من مصر، إذ سيخرج في الليلة نفسها التي يأكل فيها الفصح وطعم المرارة في فمه.

بالنسبة إلينا كمؤمنين فإن الأعشاب المرة التي كانت جزءاً من وليمة الفصح الرمزية تُذكرنا بأنّ لنا نصيباً أيضاً من المرارة في أثناء مسيرتنا في هذا العالم الفاسد كما هو مكتوب، "فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ" (يوحنا ١٦: ٣٣). "وَأَنَّهُ بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ يَنْبَغِي أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ" (أعمال ١٤: ٢٢).

إن تطابق الإعداد بين ذبيحة الفصح، و(المسيح فِصْحَنَا) الذي به نجونا من الغضب الآتي، يعطينا الثقة بشخص الله، ويزيد يقيننا بأزلية خطة الله التي لا تتغير من جهة خلاصنا.

رابعاً- تطابق الهدف بين الرمز والمرموز إليه (١١).

"١١ وَهَكَذَا تَأْكُلُونَهُ: احْفَاقُكُمْ مَشْدُودَةٌ وَاحْذِيَّتُكُمْ فِي أَرْجُلِكُمْ وَعِصِيَّتُكُمْ فِي أَيْدِيكُمْ. وَتَأْكُلُونَهُ بِعَجَلَةٍ. هُوَ فِصْحٌ لِلرَّبِّ". لاحظ معي:

الأحقاء مشدودة، إشارة إلى الاستعداد لعمل ما.

الأحذية في الأرجل، إشارة إلى الاستعداد للرحيل.

العصي في الأيدي، إشارة إلى أنهم شعب متغرب ومسافر.

إن طريقة أكل الفصح تنم عن العجلة، وكأنني بهم أناساً مُستعدين أن يفارقوا أرض الموت والعبودية. أرض الغضب والدينونة، لينسوا ما ورائهم ويمتدوا إلى قُدام، إلى أرض الموعد التي تفيض لبناً وعسلاً، إلى ميراثهم ونصيبهم.

بالنسبة إلينا كمؤمنين، هي صورتنا أيضاً، قَدُمْ حروف الفصح الذي نَحْنَا من الغضب الآتي، وجعلنا في الوقت نفسه قريبين من الله، يدفعنا بشكل دائم لتكون أحقاؤنا مشدودة، وأحذيتنا في أرجلنا، وعصيتنا في أيدينا. أي أنه علينا من الآن فصاعداً أن نسير مع الله متجهين نحو الهدف - كنعان السماوية - بوصفنا شعباً مفدياً، ومقتنئاً، ومقدساً. عيوننا ليست على هذا العالم، ولا متعلقة به، بل كما هو مكتوب: " ١ فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقَ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ. ٢ اِهْتُمُّوا بِمَا فَوْقَ لَا بِمَا عَلَى الْأَرْضِ " (كولوسي ٣: ١-٢).
 إن تطابق الهدف بين ذبيحة الفصح، و(المسيح فُصِّحْنَا) الذي به نجونا من الغضب الآتي، يعطينا الثقة بشخص الله، ويزيد يقيننا بأزلية خطة الله التي لا تتغير من جهة خلاصنا.

خاتمة: إن حروف الفصح هو الوسيلة التي نجا بها الشعب قديماً من أرض العبودية، وبه أيضاً نجت أبنائهم من ضربة المهلك. ومنذ تلك اللحظة التي دُبح فيها حروف الفصح ورُشَّت دماؤه على عتبة الباب مع القائمتين أدرك العبرانيون أن النجاة من الموت تعني أن حياة أخرى يجب أن تبذل عوضاً عنهم، وأنه من دون سفك دم لا تحصل مغفرة.

كان حروف الفصح بداية قصة الفداء التي رسمها الله بينما كان الصليب خاتمتها. كان حروف الفصح هو الرمز لهذه القصة بينما كان المسيح حمل الله الذي يرفع خطية العالم هو المرموز إليه في هذه القصة.

إن هذا التطابق بين الرمز والمرموز إليه، يعطينا الثقة بشخص الله، ويزيد يقيننا بأزلية خطة الله التي لا تتغير من جهة خلاصنا، ويؤكد لنا أن خطة الفداء التي تمها الرب يسوع المسيح على خشبة الصليب ليست وليدة ظرف معين، بل وليدة فكر أزلي من قَبْل تأسيس العالم، فكر لم يتغير، ولن يتغير، ولن يُسَخَّر بمشورة أخرى. وهذا ما يدفعنا لأن نعظم الرب في حياتنا، وأن نذكر كل يوم، وبدموع الشكر قول الكتاب عن المسيح فادينا ومخلصنا من الغضب الآتي: "لأنَّ فُصِّحْنَا أَيْضاً الْمَسِيحُ قَدْ دُبِحَ لِأَجْلِنَا" (١ كورنثوس ٥: ٧).

له كل المجد في الكنيسة إلى جيل أجيال دهر الدهور. آمين.

معاني الصَّليب

"٣٣ وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى «جُمُحْمَةَ» صَلَّبُوهُ هُنَاكَ مَعَ الْمُنْذِنِينَ وَاحِداً عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ. ٣٤ فَقَالَ يَسُوعُ: «يَا أَبْنَاءُ اغْفِرْ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ». وَإِذِ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ اقْتَرَعُوا عَلَيْهَا" (لوقا ٢٣).

مقدمة: إن فهمك للمعنى المرتبط بأي عمل، يُرتب عليك واجباً ما تجاه صانع هذا العمل، وكمثال على ذلك:

*لو قام صديقك بعمل ما تجاهك، وأدركت أن هذا العمل يحمل معنى التضحية، فإن هذا يرتب عليك واجب محبة هذا الصديق.

*لو قام زميلك في العمل بتصرف ما، وأدركت أن هذا العمل يحمل معنى الإساءة إليك، فإن هذا يرتب عليك أن تتجنب هذا الزميل مستقبلاً.

*لو كنت مواطناً غير روماني، في زمن المسيح، وقيل لك: إن الصَّليب لا تقبله الدولة الرومانية لمواطنيها، لأنه يُعدُّ أقسى أشكال الإعدام التي تُنفَّذ بحق المجرمين الذين لا يحملون الجنسية الرومانية، ويحمل معنى الإهانة والعار للمصلوب وعائلته، فإنك ستجد نفسك تحت واجب أن تفعل المستحيل لتتجنب الموت صلباً.

التفسير الوعظي: من المؤسف أن يسوع الذي جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس، والذي لم يفعل خطية واحدة في حياته، كان في نظر القانون الروماني أقل قيمةً وشأناً من أسوأ مواطن روماني، بل أسوأ من أكثرهم انغماساً في الشر والنجاسة، فحكم عليه بالموت صلباً ليموت ميتة العار. لكن قيامة المسيح من بين الأموات أعطت معنىً جديداً ومجيداً للصَّليب، وفهمنا لهذا المعنى سيزيد بالتأكيد من محبتنا لشخص المسيح ويرتب علينا واجب شكره في كل حين.

جملة انتقالية: عندما يتكلم كُتَّبة أسفار العهد الجديد عن الصَّليب فهم لا يهتمون بالناحية التاريخية بل بالناحية الأدبية، المعنوية للصَّليب، الذي هو الكلمة الموحزة التي تُستخدم تعبيراً عن إنجيل الخلاص. وبنعمة المسيح نريد أن نتأمل في أهم المعاني لكلمة الصَّليب التي تلقى ضوءاً على إنجيل الخلاص، لأن فهمنا لهذا

المعنى سيزيد بالتأكيد من محبتنا لشخص المسيح ويرتب علينا واجب شكره في كل حين، فما معاني الصليب؟

أولاً- الصليب يعني الفداء.

قال الرسول بولس عن المسيح: "الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي" (غلاطية ٢: ٢٠). ثم وسَّع الدائرة قائلاً: "الَّذِي مَاتَ لِأَجْلِنَا" (١ تسالونيكي ٥: ١٠). ثم وسَّع الدائرة أكثر قائلاً: "وَهُوَ مَاتَ لِأَجْلِ الْجَمِيعِ" (٢ كورنثوس ٥: ١٥).

ولكن لماذا مات المسيح؟ يجب الرسول بولس قائلاً: "الَّذِي بَدَلَ نَفْسِهِ لِأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (تيطس ٢: ١٤). إذاً، صُلب المسيح ليفتدينا من الخطية، فما الفداء؟ الفداء، أو الفدية، تعني باختصار، الثمن الذي يُدفع لعق العبد أو لتحريره، ومن المعلوم أن العبد يبقى مُلكاً لسيده إلى الأبد، ولا يمكن أن يُعتق مهما قدّم من إنجازات لمصلحة السيد، لأن كل هذا يُعدُّ ضمن واجبه المقدس.

إذن، متى يُعتق العبد؟ إنّه يُعتق في حالة واحدة فحسب، عندما يأتي شخص حرّاً ويقول: أنا أدفع ثمنه. ويدفع، فيصير حرّاً. وإذا نتكلم عن الصليب فإننا نتكلم عن القيمة التي دفعها المسيح يسوع لعدالة الله، لتحريرنا جميعاً من العبودية للخطية.

إنَّ أجرة الخطية هي الموت، والمقصود بالموت أمرين: الأول الموت الطبيعي، لأن قانون الله هو الموت الجسدي لمن أخطأ. والثاني الموت الروحي، الذي يتم بعد انفصال الروح عن جسدها، وهو الانفصال عن الله، وقضاء الحياة الأبدية في أعماق الجحيم، كغرامة لما فعله الإنسان من أعمال شريرة في حياته الأرضية. ولا حظ، ليس أجرة خطايي هي الموت، لكن أجرة واحدة من خطايي هي الموت. فإن كانت أجرة خطية واحدة هي الموت، فما بالك بآلاف الخطايا المتراكمة، كم تكون أجرتها؟ بلا شك الغرامة كبيرة ومن غير المستطاع دفعها. بل ماذا يدفع المحكوم عليه بالموت ليصير حرّاً؟ لا شيء.

لذلك جاء المسيح البارّ، الحرّ، ليدفع الأجرة العظيمة المترتبة علينا أمام عدالة الله،

والأجرة هي الموت، وعلى الصليب مات المسيح - بذل حياته - لأجل الجميع، وكل من قبل موته، استوفت عدالة الله أجرته من المسيح، وصار حراً بسلطان إلهي من الخطية، وتم القول: "إِنَّ الْخَطِيئَةَ لَنْ تُسَوِّدَكُمْ" (رومية ٦: ١٤).

إن فهمنا لهذا المعنى سيزيد بالتأكيد من محبتنا لشخص المسيح ويرتب علينا واجب شكره في كل حين.

ثانياً- الصليب يعني المصالحة.

مكتوب، "إِنَّ اللَّهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ" (٢ كورنثوس ٥: ١٩). ولكن كيف صالح الله العالم لنفسه، كيف تمت المصالحة؟ يجب الكتاب المقدس، "وَأَنْ يُصَالِحَ (الله) بِهِ (المسيح) الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، غَامِلاً الصُّلَحَ بِدَمِ صَلْبِهِ" (كولوسي ١: ٢٠). أي أن المسيح بموته على الصليب صنع المصالحة بين الله والناس.

قد يتساءل الناس لماذا يتصالح الله مع الناس؟ هل أخطأ بحقهم! طبعاً لا. بل هم الذين أخطأوا بحقه، والنتيجة، "آثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلَهُكُمْ وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَسْمَعَ" (إشعيا ٥٩: ٢). فما ارتكبه الناس من خطايا فصلت بينهم وبين الله، أي أن الخطية صارت سداً بين الإنسان والله، فصنعت العداوة، وقطعت كل علاقة، بين الطرفين. ولأن الإنسان لا يستطيع أن يهدم هذا السد، ويعيد المصالحة بينه وبين الله، تدخّل الله من جهته لصنع المصالحة وتم ذلك بدم المسيح.

إذاً، لا يوجد مصالحة بين الله والإنسان قبل الصليب، خطايانا قد حجبت وجه الله -رضاه- عنا. لكن بعد الصليب انتهت الخطية وزالت، ليحلّ بدلاً منها سلام بين الله والإنسان.

إن الصليب ليس مصالحة بين الله والإنسان فحسب، لكن هو أيضاً مصالحة بين الإنسان وأخيه الإنسان. أي أن الصليب أجرى مصالحة عمودية وأفقية أيضاً.

مكتوب عن المسيح، "لأنَّه هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الْإِثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَتَقَضَّ حَائِطَ السِّيَاحِ الْمُتَوَسِّطَ ١٥ أَيْ الْعَدَاوَةَ... لِكَيْ يَخْلُقَ الْإِثْنَيْنِ (يهودي ووثني) فِي تَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلاَمًا ١٦ وَيُصَالِحَ الْإِثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللَّهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلًا الْعَدَاوَةَ بِهِ" (أفسس ٢: ١٤-١٥).

قبل الصليب كان اليهودي والأُمِّي في حالة عداوة مطلقة، وعدم قبول. وإذا مات المسيح على الصليب تهيأت الفرصة للمصالحة بين الاثنين، وهذه المصالحة لم تتم بين طرفين تخلّى أحدهما عن أفكاره، أو معتقده، أو قوميته لمصلحة الآخر، لكن تمت بين اثنين صارا جزءاً من جسد المسيح، إذ جعلهما واحداً في شخصه.

منذ نحو ألفي سنة وحتى الآن يُعَدُّ الصليب طريق المصالحة بين الناس والله، وبين الناس والناس، فمن يحمل الصليب شعاراً، لا يعادي الناس، ولا يحمل سيفاً في وجه أحد، يا له من معنى للصليب! بل يا له من شعار للسلام!

إِنَّ فَهْمَنَا لِهَذَا الْمَعْنَى سَيَزِيدُ بِالتَّكْيِيدِ مِنْ مَحَبَّتِنَا لِشَخْصِ الْمَسِيحِ وَيُرَتِّبُ عَلَيْنَا وَاجِبَ شُكْرِهِ فِي كُلِّ حِينٍ.

ثالثاً- الصليب يعني نهاية العهد القديم.

"إِذْ نَحْنُ الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَايِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسْطِ مُسَمَّرًا أَيَّاهُ بِالصَّلِيبِ" (كولوسي ٢: ١٤).

إِنَّ العبارة: «الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَايِضِ الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا»، تشير إلى ناموس الفرائض الذي أُعْطِيَ لشعب إسرائيل، والذي يَضُمُّ شَتَّى أَنْوَاعِ الْوَصَايَا الْمُخْتَصَّةِ بِأَيَّامٍ مُقَدَّسَةٍ أَوْ أَعْيَادٍ، أَوْ أَطْعَمَةٍ مُقَدَّسَةٍ، أَوْ شَعَائِرٍ دِينِيَّةٍ أُخْرَى، يقول عنها كاتب العبرانيين: إِنَّهَا "مَوْضُوعَةٌ إِلَى وَقْتِ الْإِصْلَاحِ" (عبرانيين ٩: ١٠). أي كانت مفروضة إلى الوقت الذي يُصْلِحُ اللَّهُ فِيهِ كُلَّ شَيْءٍ.

عندما أَسَّسَ الرَّبُّ يَسُوعَ فَرِيضَةَ الْعِشَاءِ الرِّبَاطِيِّ - كَسْرَ الْخُبْزِ - قَالَ: "لَأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ" (متى ٢٦: ٢٨). وهذا يعني أن كل فرائض العهد القديم قد انتهت، إذ بموته على الصليب رفعها جميعها من الوسط، مُسَمَّرًا إِيَّاهَا

بالصليب، وألغاهما كما تُلغى الفاتورة على أثر تسديد الدين. لكن هذا لا يعني أن كتاب العهد القديم قد انتهى وأُبطلَ بناموسه الملوكي -الأدبي الأخلاقي- وقصصه، ونبواته، ومن ثمَّ وجب التخلي عنه. كلا. إن كل ما كُتِبَ كُتِبَ لإِندارنا، كُتِبَ لتعليمنا، نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور، وسيبقى هكذا حتى النهاية، فالسما والأرض تزولان لكن حرف واحد من هذا الناموس لا يزول.

يا له من معنى رائع للصليب عندما يعلن هذه الحقيقة! إن كل تلك المطالب الناموسية من ذبائح، وأعياد، وشعائر، وثياب معينة، وأكلات معينة، التي لم يستطع أحد أن يحفظها، قد انتهت.

إن فهمنا لهذا المعنى سيزيد بالتأكيد من محبتنا لشخص المسيح ويرتّب علينا واجب شكره في كل حين.

رابعاً- الصليب يعني حكم الموت على الإنسان العتيق.

تقول كلمة الرب: "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ" (غلاطية ٢: ٢). وأيضاً "عَالِمِينَ هَذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ (المسيح) لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيئَةِ كَيْ لَا تَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضاً لِلْخَطِيئَةِ" (رومية ٦: ٦).

عندما آمنا بالمسيح المصلوب انقسمت حياتنا إلى قسمين، عتيق وجديد. العتيق هو أنا قبل الإيمان بكل ما أحمله من شهوات دنيّة ورغبات بطالة، وقد مضى. أما الجديد فهو أنا بعد الإيمان بكل ما أحمله الآن من ميول مقدّسة، ورغبات لمجد الله.

يتحدث الرسول بولس عن صراع كان يدور في داخله، فيقول: "فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ أَيُّ فِي جَسَدِي شَيْءٌ صَالِحٌ. لِأَنَّ الْإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ الْحَسَنَى فَلَسْتُ أَجِدُ" (رومية ٧: ١٨). أريد أن أفعل هذا الخير ولكنني أجد نفسي لا أفعله، لا أريد أن أفعل هذا الشر فأجد نفسي أفعله. أكره الذهاب للمكان الفلاني ولكنني أذهب، لا أريد قراءة الكتاب الفلاني أو رؤية المشهد الفلاني، ولكنني أجد نفسي مغلوباً، فأفعل ما لا أريد. لذلك يصرخ متألماً من هذا الصراع الموجود في داخله قائلاً: "وَيُنْجِي أَنَا الْإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يَنْقُذُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا الْمَوْتِ؟" (رومية ٧: ٢٤).

لكن عندما آمن بالمصلوب ربنا ومخلصنا يسوع المسيح هتف: "فَأُحْيَا لَا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ"، أحيًا لا أنا، أي أن العتيق المغلوب من الشر والخطية قد مات، قد صُلب. والآن هناك إنسان جديد لا تسكنه الخطية، لكن المسيح يحيا فيه. الآن إنسان جديد يحيا بقوة المسيح ويقول: "نَاثُوسُ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَاثُوسِ الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ" (رومية ٨: ٢). فشكراً لله من أجل الصليب الذي قَسَمَ حياتنا إلى قسمين، قديم قبل الإيمان انتهى بشهوته وميوله وفساده، وجديد يحيا للرب والقداسة والتعفف كما يحق لإنجيل المسيح. إن فهمنا لهذا المعنى سيزيد بالتأكيد من محبتنا لشخص المسيح ويرتب علينا واجب شكره في كل حين.

خامساً- الصليب يعني حكم الموت على العالم.

"وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَحَرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلبَ الْعَالَمُ لِي" (غلاطية ٦: ١٤).

الصليب لا يعني فقط حكم الله على المسيح بالموت لأنه حمل خطايانا، بل يعني أيضاً حكم الله على العالم بالموت لأنه نجس، وفسد بكل أديباته. قال الرب لآدم: ملعونة الأرض بسببك. ولا يمكن أن يغيّر الله قراره أو ينسخه، فالأرض ملعونة وتحتاج للنار لكي ما تطهر. والرسول بطرس أكد هذه الحقيقة عندما تنبأ عن نهاية العالم قائلاً: "وَلَكِنْ سَيَأْتِي كَلِصٌّ فِي اللَّيْلِ، يَوْمُ الرَّبِّ، الَّذِي فِيهِ تَزُولُ السَّمَاوَاتُ بِضَجِيجٍ، وَتَنَحَلُّ الْعُنَاصِرُ مُحْتَرِفَةً، وَتَحْتَرِقُ الْأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا" (٢ بطرس ٣: ١٠). في ذلك اليوم سيقول الله: "لَأَنِّي هُنَذَا خَالِقَ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةٍ وَأَرْضاً جَدِيدَةً فَلَا تُذَكِّرُ الْأَوَّلَى وَلَا تَحْطُرُ عَلَى بَالٍ" (إشعيا ٦٥: ١٧). إن الروح الذي يعمل في هذا العالم الذي نعيش فيه، ويحلو لنا، مع الأسف، أن نستمتع فيه، هو روح الشيطان، إله هذا الدهر، الذي يعطي للعالم شكله البراق الخادع. لذلك عندما نتعامل مع العالم ينبغي أن نعي أنه بسبب شروره ميت، بل هو جثة هامدة مُقرفة، ذات رائحة نتنة تستوجب ابتعادنا عنها.

عندما يتكلم الكتاب عن زينة المرأة يقول: "لَا تَكُنْ زِينَتُكَ الزَّيْنَةَ الْخَارِجِيَّةَ" (١ بطرس ٣: ٣). إن كلمة الزينة الخارجية هي نفسها بالتمام، كلمة العالم، الذي

يقول عنه الكتاب: "١٥ لَا تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ" (١ يوحنا ٢: ١٥). "أَمَّا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ لِلَّهِ؟ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا لِلَّهِ" (يعقوب ٤: ٤).

إن الزينة الخارجية التي يتسابق إليها كثيرون هي في نظر الله جزءاً من هذا العالم المحكوم عليه بالموت، فينبغي ألا نلمسها لئلا نتجسّس بها. فشكراً لله من أجل الصليب الذي حكم على العالم بالموت، ويزكّرنا في كل وقت أننا لسنا منه فلا نعيش لأجله.

إن فهمنا لهذا المعنى سيزيد بالتأكيد من محبتنا لشخص المسيح ويرتب علينا واجب شكره في كل حين.

سادساً- الصليب يعني العار والخزي.

قيل عن الرب يسوع المسيح، "الَّذِي مِنْ أَجْلِ الشُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ اخْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْخِزْيِ" (عبرانيين ١٢ : ٢).

إذاً، الصليب والخزي علامات مترادفة، أي وجهان لعملة واحدة. فالقول، يسوع المسيح احتمل الصليب، يعني أنّ يسوع احتمل الخزي والعار.

مكتوب، "يَنْبَغِي أَنْ يُسَلَّمَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي أَيْدِي أَنْاسٍ خُطَاةٍ وَيُصَلَّبَ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ" (لوقا ٢٤ : ٧). يا له من أمر مؤلم، أن ابن الانسان يُسَلَّمَ إلى أيدي أناسٍ خُطَاةٍ، البارّ يُسَلَّمَ للموت بأيدي أشرار. لا يوجد مشهد يشعر فيه الإنسان بالخزي والعار، أكثر من هذا، عندما يجلس على سُدّة القضاء شخصٌ فاسدٌ، لينطق بالحكم على شخصٍ بارٍّ، ويدينه.

تصور معي مشاعر شخصٍ محترمٍ لم يرتكب أيّ مخالفة، أراد في يومٍ ما أن يدفع غرامةً ماليةً نيابةً عن ابنه، فوقف ينتظر دوره بين أناسٍ مثل ابنه محكومين بغرامات مالية. إن مجرد وقوفه بين هؤلاء سيحني هامته من شدة الخزي، فماذا نقول لو وُضع في السجن بين المجرمين نيابةً عن ابنه! بل ماذا نقول عن مشاعر المسيح البارّ، الذي حكم عليه قُضَاءٌ فاسدون. وغلّق بين اللصوص والمجرمين نيابةً عنا! قال المزمّن عن المسيح بروح النبوة واصفاً مشاعره: "الْعَارُ قَدْ كَسَرَ قَلْبِي فَمَرَضْتُ"

(مزمور ٦٩ : ٢٠). إنَّه عار الملايين من الناس الذي لصق به. إنَّه عار وقوفه بين المجرمين. إنَّه عار محكمة من اللصوص وُجد فيها، وحُكم عليه من قضائها الأشرار. هذا هو معنى الصَّليب، العار والخزي. وشكراً لله إلى الأبد لأن المسيح على الصَّليب حمل كل عارنا.

إن فهمنا لهذا المعنى سيزيد بالتأكيد من محبتنا لشخص المسيح ويرتب علينا واجب شكره في كل حين.

سابعاً- الصَّليب يعني قوة الله وحكمته.

"فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّليبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ (حماقة) وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللَّهِ" (١ كورنثوس ١ : ١٨). الهالكين كناية عن غير المؤمنين بالمسيح يسوع، وهم الذين يقولون عن الصَّليب، إنه إشارة للضعف، فلو لم يكن المسيح ضعيفاً، ما وُضعت يده في القيود ولا دُفَّت فيها المسامير، ولا اقْتِيدَ للصلب كشاة تُساق إلى الذبح، أو كنعجة صامتة أمام جازيها. أمّا بالنسبة إلينا وإن بدا ظاهرياً أنه أخذ من ضعف، إذ قيده، وجلدوه، وأهانوه، وعلَّقوه بين السماء والأرض. لكنَّه على الصَّليب كان القوي الذي جرَّد الرياسات والسلطين، أشهرهم جهاراً، ظافراً بهم فيه. إن الصَّليب هو المعركة الأدبية الكبرى التي فيها دفع المسيح ثمن خطايا كل الجنس البشري مستوفياً عدالة الله، ومحرراً من قبضة إبليس وأعوانه كل أسرى الخطية، وهذا ما برهنته قيامة المسيح، لذلك كمؤمنين نُعَدُّ الصَّليب هو قوة الله.

أمّا عن كونه حكمة الله، فالكتاب يقول: إنه "الحِكْمَةُ الْمَكْتُومَةُ الَّتِي سَبَقَ اللَّهُ فَعَيْنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا ٨ الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هَذَا الدَّهْرِ - لِأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ. ٩ بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ (الصَّليب، وسيلة الخلاص) لِلَّذِينَ يُجِبُّونَهُ»" (١ كورنثوس ٢ : ٧-٩). ويتساءل بعض من الناس أين هي الحكمة في الصَّليب ليكون وسيلة الخلاص الوحيدة للجنس البشري؟

الجميع يتفق أن الله عادل، ورحوم، لكن كيف يتم الجمع بين صفاته هذه دون أن تكون الواحدة على حساب الأخرى؟ كيف يحكم علينا بالدينونة، وهذا عدل،

دون أن تختفي صفة الرحمة منه؟ وكيف يُبرئنا من الخطية، وهذا عمل رحمة دون أن تختفي صفة العدالة منه؟ إليك مثلاً للإيضاح: شابة تجاوزت إشارة المرور الحمراء وهي تقود سيارتها. فحرر لها شرطي المرور ضبطاً بالحادثة. وإذا كان والدها قاضي المرور لم تعبأ بالضبط. وفي يوم المحكمة وقفت أمام القاضي الذي هو والدها لتفاجأ بأنه حكم عليها بمقتضى القانون بغرامة كبيرة. انهارت وبكت وقالت له: أنت والدي وتفعل هذا. أين رحمتك؟

بعد أن انتهى القاضي من إصدار الحكم، وإنهاء القضية، نزع عنه ثوبه القضائي وجاء إليها قائلاً: كقاضٍ عادلٍ، كان ينبغي أن أحكم عليك بحسب القانون، ولكن كأبٍ رحومٍ، ها أنا أسدّد الغرامة نيابةً عنك. هذا تقريباً ما فعله الله معنا!! هذا هو معنى الصليب، قوة الله وحكمته. وشكراً لله إلى الأبد لأن المسيح على الصليب أظهر قوة الله وحكمته.

إن فهمنا لهذا المعنى سيزيد بالتأكيد من محبتنا لشخص المسيح ويرتب علينا واجب شكره في كل حين.

خاتمة: ماذا يعني الصليب؟ الصليب يعني الفداء، يعني نهاية العهد القديم، يعني حكم الموت على الإنسان العتيق، يعني حكم الموت على العالم، يعني العار والخزي، يعني قوة الله وحكمته.

الصليب ليس خشبة تُعلقها في بيتك، أو على صدرك، أو عيداً تختفي به بالطعام والشراب، لكنه معانٍ تعيشها أمام الله والناس. فليُعطينا الربّ نعمة لفهم الصليب، ونعيشه كما يليق.

إن فهمنا لمعاني الصليب سيزيد بالتأكيد من محبتنا لشخص المسيح ويرتب علينا واجب شكره في كل حين.

لأهلنا كل المجد إلى الأبد، آمين.

إِعْلَانَاتُ الصَّلِيبِ

"فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللَّهِ"
(١ كورنثوس ١: ١٨).

مُقَدِّمَةٌ: تُسْتَعْمَلُ الإِعْلَانَاتُ بِكَثْرَةٍ فَمِثْلًا:

*عندما تضع دولة ما عَلمَها فوق حدودها فهي تريد أن تعلن سُلطانها على كل ما يقع ضمن حدودها.

*عندما توضع لوحة مرورية في الطَّرِيق، فهي تُعلن عن خطر ما، أو اتجاه ما ينبغي أن تسلكه السيارات، أو يسلكه المشاة.

*عندما يموت أحدهم في سبيل قضية ما، فهو يُعلن بموته أهمية قضيته.

التفسير الوعظي: هكذا أيضاً على صعيد الأمور الروحية، إذ يحتوي الصَّلِيب على جملة من الإِعْلَانَات التي ينبغي ألا تفوتنا. فبينما يُعَدُّ كثيرون من الذين دعي عليهم اسم المسيح، أن الصَّلِيب ينبغي وضعه كقلادة في العنق، أو السَّيَّارة، أو تحت المِخْدَةَ ليعلن لهم حماية الله، نجد الله رافضاً لهذا الفكر، ومعلنناً فكره الحقيقي في الصَّلِيب، فالصليب الذي ينبغي أن يقبله كل مؤمن، هو الذي يعلن حقيقة فكر الله.

جملة انتقالية: بنعمة المسيح نريد أن نجيب عن السؤال: ما هي إِعْلَانَات الصَّلِيب؟ أو ماذا يُعلن الله في الصَّلِيب؟

أولاً- الصَّلِيبُ يُعلن، أَرْزِيَّةَ خُطَّةِ اللَّهِ.

الصَّلِيبُ ليس فكرة طارئة خطرت على بال الله في وقت من الأوقات فنَقَّدها.

الصَّلِيبُ ليس مفاجأة ربَّها الرومان، واليهود للمسيح في زمن ما، أو ظرف ما.

الصَّلِيبُ ليس فكرةً كنيسةً، أي جماعة من الناس، فكَّرت وقررت أنه الخطَّة الأنسب بين كل الخطط المعروفة لخلاص البشر.

قيل للمؤمنين: "عَالِمِينَ أَنْكُمْ افْتَدَيْتُمْ لَا بِأَشْيَاءَ تَقْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ .. بَلْ بِدَمِ كَرِيمٍ .. دَمِ الْمَسِيحِ، مَعْرُوفاً سَابِقاً قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ" (١ بطرس ١: ١٨-٢٠). أي أن الصليب ليس من تصميم الناس، لأنه مرسوم في فكر الله الأزلي من قبل تأسيس العالم. وهذا ما أكدته الرسول بطرس لليهود عندما قال لهم عن المسيح: "هَذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلِّماً بِمَشُورَةِ اللَّهِ الْمَحْتُمَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ وَبِأَيْدِي أُمَّةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ" (أعمال ٢: ٢٣). ولأن فكر الله لا يتغير، يكون الصليب طريق خلاصٍ وحيد، لا يتغير ولا يتبدل. ولأجل هذا يؤكد الصليب أن دينونة الناس مرتبطة بموقفهم المعادي منه بوصفه خطة الله، وفرصته الوحيدة لإنقاذ حياتهم، فمن أضاع الفرصة أضاع حياته، ومن اغتنم الفرصة ربح حياته، لذلك علينا كمؤمنين أن نقبل الصليب الذي يُعلن أزلية خطة الله، لأنه بهذا يُعلن حقيقة فكر الله.

ثانياً- الصليب يُعلن، بشاعة خطية الإنسان.

إن الفكرة الأولى التي يجب أن تخطر على بالنا عندما ننظر إلى الصليب هي بشاعة خطية الإنسان. فموت المسيح الذي حمل خطايانا على الصليب، أظهر بصورة لا تقبل الجدل هذه الحقيقة، وأن الخطية في الإنسان خاطئة جداً.

قال أيوب بسبب الخطية: "أَنَا مُسْتَذَنْبٌ فَلِمَذَا أَتَعَبُ عَيْنَا؟ (بمحاولة إيجاد حل لمشكلتي) ٣٠ وَلَوْ اغْتَسَلْتُ فِي الثَّلْجِ وَنَطَّقْتُ يَدَيَّ بِالْأَشْنَانِ (لا توجد طريقة تبرئني من الخطية)" (أيوب ٩: ٢٩-٣٠).

وبعدده قال داود: " ٢ اغْسِلْنِي كَثِيراً مِنْ إِثْمِي وَمِنْ خَطِيئَتِي طَهِّرْنِي. ٣ لِأَيَّ عَارِفٍ بِمَعَاصِيٍّ وَخَطِيئَتِي أُمَامِي دَائِماً" (مزمو ٥١: ٢-٣). والسؤال: لماذا لا تغسل نفسك بنفسك يا داود؟... أنا أغسل نفسي! وكيف أغسل نفسي؟ يا رب أنت اغسليني، لأن الخطية لا حل لها عندي.

وبعدده قال بولس الرسول: "وَيُنْجِي أَنَا الْإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدٍ هَذَا الْمَوْتِ؟" (رومية ٧: ٢٤). إنه جسد موت، منه تُخرج الخطية كل رائحة نتنه وكرهية. إنه غير قادر على إخراج الحياة، "هَلْ يَحْتَنُونَ مِنَ الشُّوْكِ عِنباً أَوْ مِنَ الْحَسَكِ تِيناً؟" (متى ٧: ١٦). كلا، لأن كل شيء يُنبئ من ذاته، وكذا الموت لا يُنبئ إلا موتاً.

عندما تنظر إلى الصليب حاول أن تجد إعلاناً يَخَصُّكَ. صحيح أنه يعلن موت المسيح، لكن خمن ماذا يُعلن لك، وتساءل، لماذا صُلب المسيح؟ إنه جوابٌ سهلٌ، لأني إنسان خاطئ. لو كان هناك من حلٍّ للخطية، أو تقدير أقلِّ لقيمة الخطية، ثِق، ما ظهر الصليب للوجود. لكن لأن الخطية خاطئة جداً استوجبت الصليب. لذلك عندما يُعلق البار من أجل الأثمة، هذا يعني أن خطايا الأثمة لا تُحتمل. بتعبير آخر، عندما قال المسيح البار: أنا أحمل خطية الإنسان. قال له الآب السماوي: إلى الصليب.

عندما نقول: إن المسيح مات من أجل خطايانا، علينا أن نفهم أن الخطية أبعدتنا عن الله بسبب نجاستها مسافةً لا يستطيع أحد أن يردنا عنها إلا الله وحده. لو كانت الخطية أبعدتنا مسافة بسيطة عن الله، لأمكنني بعمل بسيط العودة إليه. لكن بسبب بعد المسافة تعذر عليّ القيام بأي عمل ذاتي. إنَّ عجزنا هذا هيأ الفرصة ليتدخل الله، ويقوم بعمل جبار على الصليب، يُعيدني إليه. لذلك علينا كمؤمنين أن نقبل الصليب الذي يُعلن بشاعة خطية الإنسان، لأنه بهذا يُعلن حقيقة فكر الله.

ثالثاً- الصليب يُعلن، عمق محبة الله.

مع أن الصليب يُعلن بشاعة خطية الإنسان، لكنّه يُعلن أيضاً عمق محبة الله للإنسان التي سَمَتْ، وفاضت، وفاقَت كل فكرٍ، أو تصور. يستطيع الإنسان أن يعرف كثيراً من الأمور عن شخصية الله من خلال الخليفة، إذ "السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ وَالْأَلْأَلُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ" (زمور ١٩: ١). فمجرد التأمل في الخليفة يقودك للقول: مجداً لله. والتأمل في تعاملات الله مع الخليفة يقودك لاكتشاف رحمة الله. أما التأمل بالكوارث الطبيعية فيدفعك للخوف من غضب الله. وهكذا تستطيع أن تكتشف كثيراً من صفات الله كالحكمة، والعلم، والقدرة، وما شابه في خليقته. ومع ذلك لن تقدر أن ترى محبة الله في أي منها. إذًا، أين نرى محبة الله؟ نراها مميزة في مكان واحد فقط، في الصليب الذي هو أعظم إعلان لمحبة الله للإنسان.

لذلك كل شخص لا يعترف بالصليب، لا يملك برهاناً أن الله طبيعته حبة، ولن يقدر أن يقول: إن الله حبة.

بإمكان الله أن يقول للبشر، أنا أحبكم. وهذا يكفي، لأنه صادق فيما يقول، فإن قال أحبكم، يعني هو يحبنا. لكن من طبع البشر أنهم لن يقبلوا كلمات الله ولن يستوعبوها، إلا إذا أكدها الله بعمل ما.

لاحظ قول الكتاب، "وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ مُحَبَّتَهُ لَنَا لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا" (رومية ٥: ٨). كيف بين الله محبته لنا، هل لأنه أعطانا لنأكل ونشرب، كيف بين محبته لنا، هل لأنه أعطانا أولاداً، هل لأنه خلقنا بصحة جيدة، هل لأنه يوفر لنا الحماية من شروور كثيرة؟ هذا كله ليس إعلاناً عن محبة الله، إذن، أين نرى محبة الله، ما هو إعلان محبة الله. "وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ مُحَبَّتَهُ لَنَا لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا". إن الله لم يكتفِ بالقول، أنا أحبكم، لكنه عمل ما يثبت أنه يحبني، وهذا هو إعلان الصليب عن محبة الله للبشر.

وعلى الرغم من أن الصليب يعلن لنا بشاعة خطية الإنسان الذي يداوم عامداً بشكل يومي على فعل الشر، لكنه يعلن أيضاً، أننا "وَنَحْنُ أَعْدَاءُ قَدْ صُوحِنَا مَعَ اللَّهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ" (رومية ٥: ١٠).

أعرف عائلة مؤلفة من أب وأم وسبعة أولاد. أُصيب فيها الابن الأصغر بقصور كلوي، واحتاج لمتبرع بكلىة. قيل للأب، لديك كليتتان وتقدر أن تعيش بوحدة، فأعطِ ابنك كلىة ليعيش هو الآخر. فأجاب: ومن يضمن لي أن كليتي الأخرى لن يصيبها العطب، لن أتبرع لابني وأعرض حياتي للخطر. قيل للأب الكلام نفسه، فأجابت بكلام مشابه. قيل للأولاد الكلام نفسه فامتنعوا جميعاً عن تقديم كلىة لأخيهم المريض الذي تجري في عروقه الدماء نفسها التي تجري في عروقهم. وأخيراً مات الابن الأصغر حيث لا متبرع. يا لها من مأساة!

وبالمقارنة مع المسيح على الصليب نجد المفارقة كبيرة، فمع أننا لسنا أصدقاء بل بالطبيعة أعداءه بسبب خطايانا، ومع أننا لم نطلب منه المعونة لإنقاذنا، لكننا نجده يبذل لأجلنا ليس كلىة، بل كل حياته، إنه يموت، لنحيا نحن.

عندما تكلم المسيح عن نفسه قال: "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَتَّعْ حَبَّةَ الْخِنْطَةِ فِي الْأَرْضِ وَتَمُتَ فَهِيَ تَبْقَى وَحَدَهَا. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ" (يوحنا ١٢: ٢٤). وفعلاً وقع كحبة الخنطة لكي تخرج السنبلة ملائنة بثمر كثير، وقع لكي تخرج الكنيسة، التي هي بالأصل جماعة من الأموات، وقد نالت الحياة الأبدية.

إِنْ كُنَّا نَتَعَجَّبُ مِنْ مَوْتِ بَارٍّ لِأَجْلِ بَارٍّ، فَمَاذَا نَقُولُ عَنْ مَوْتِ بَارٍّ مِنْ أَجْلِ خَطَاةٍ؟! لَئِنْ عَلِمْنَا كَمُؤْمِنِينَ أَنْ نَقْبَلَ الصَّلِيبَ الَّذِي يُعْلِنُ مَحَبَّةَ اللَّهِ، لِأَنَّهُ بِهَذَا يُعْلِنُ حَقِيقَةَ فِكْرِ اللَّهِ.

رابعاً - الصليب يعلن، بِرَّ اللَّهِ وَقِدَاسَتِهِ.

من دون الصليب كيف يمكن لنا أن نعرف أن الله عادل وقُدُّوس. بعضُ من الناس يقول لك: اعمل الصالح فتحيا. أي بعد كل خطية ترتكبها، تستطيع أن تقوم بعمل صالح لتنتهي آثارها وعواقبها. لكن بهذه الطريقة الشائعة تكون قد وضعت قداسة الله على الرَّفِّ، حيث تُعَدُّ الله لا علاقة له بخطيتك، لأنه يتعامل معك فقط، بحسب ناتج الميزان. فإن كانت محصلة أعمالك الصالحة أكثر يكون الله راضياً عنك. وإن كانت محصلة أعمالك الشريرة أكثر، تكون تحت غضب الله. فالله لا يهتم أن تخطئ أو لا تخطئ، المهم أن ترجع في النهاية كفة ميزانك الصالحة. قبل الإيمان كنا مثل غيرنا، نظن أن الخطية درجات، ولكل درجة عقوبة معينة، أو عمل صالح يقابلها ويطلبها، لدرجة أن بعضهم قال لنا: لو صليت عشر مرات -أبانا- تُغفر خطيتك. وغيرهم قال: اكتب -أبانا- عشرين مرة فتغفر خطيتك. المضحك المبكي، أنني في إحدى المرات، عندما كنت شاباً صغيراً، أردت أن أكتب خمساً وعشرين مرة -أبانا- كما طُلب مني، فاستثقلت العقوبة، وقررت أن أضع تحت الصفحة ورقة كربون لأنسخ عليها الصلاة. وهكذا كنتُ أكتب صفحة وأنسخ صفحة مجاناً، وفي النهاية حققتُ مطالب الله بالغش، ظاناً أن خطاياي قد غُفرت. إنني أستغرب الآن كيف كنا نفعل هذا الأمر، وأستغرب أكثر أنه حتى هذه اللحظة هناك من يفكر بهذه الطريقة. تقول كلمة الرب:

" ٢١ وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بَرُّ اللَّهِ بِدُونِ النَّامُوسِ مَشْهُوداً لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالْأَنْبِيَاءِ (بمعنى، أنه الآن ظهر كيف يبرر الله البشر من دون الشريعة، أي بدون أعمال، كما تشهد له الشريعة والأنبياء).. ٢٤ مُتَبَرِّرينَ بِحَنَانٍ بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي يَسُوعُ الْمَسِيحُ ٢٥ الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ كَفَّارَةً بِالْإِيمَانِ بِدَمِهِ (الذي قدمه الله كفارة، عن طريق الإيمان، وذلك بدمه) لِإِظْهَارِ بَرِّهِ" (رومية ٣: ٢١-٢٥).

في هذا المقطع يجيب الرسول بولس عن السؤال: كيف يستطيع الله القدوس، بحسب الإنجيل، أن يبرر الخطاة، فيقول: بوساطة الصليب.

صحيح أن بَرَّ الله -عدالته- يستوجب موت الخاطئ، ورحمته تستوجب الغفران للخطي، هي معادلة صعبة، لأنه لا يمكن الجمع بين الرحمة والعدالة معاً. لكن الصليب يقوم بحل هذه المعادلة الصعبة، حيث يستوفي الله بوساطته مطالب عدالته من المسيح الذي ناب عنا، وفي الوقت نفسه يُظهر رحمته للخطي، إذ يغفر له دون أن يطالبه بدفع ثمن خطيته، أي أنه يقدم للخطي مجاناً، حُكم البراءة الذي لا يستحقه، ولا يستطيع أن يشتريه.

إن الصليب الذي أظهر بر الله وقداسته، قَطَعَ كل الخطوط، وأغلق على كل الكتب، وكل الطرق، وكل المجالات التي كان يعمل فيها الناس لنوال الحياة الأبدية، وقال: قد كفى، كل ما تفعلونه إلى زوال. الخطية خاطئة جداً، والله لا يقبل أقل من الموت أجرة لها، لذلك علينا كمؤمنين أن نقبل الصليب الذي يُعلن بر الله وقداسته، لأنه بهذا يُعلن حقيقة فكر الله.

خاتمة: ماذا أعلن الصليب:

أعلن أزلية خطة الله، وأعلن بشاعة الخطية، وأعلن عمق محبة الله، وأعلن بر الله وقداسته. فاسمح لي في هذا اليوم أن أسالك، هل أدركت ماذا يُعلن لك الصليب؟ هل أدركت أنه أكثر من قلادة تضعها على عنقك، أو تحت مخدتك، أو مناسبة للاحتفال وتبادل التهاني. إن الرب يدعوك في هذا اليوم لكي تقبل الصليب الذي يُعلن حقيقة فكر الله، فهل تتجاوب مع دعوته؟

له كلُّ المجد إلى الأبد. آمين.

ماذا فعل الجنود عند الصليب؟

"٣٥ وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا لِكَيْ يَسَمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ: «اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ وَعَلَى لِبَاسِي أَلْقُوا قُرْعَةً». ٣٦ ثُمَّ جَلَسُوا يَحْرُسُونَهُ هُنَاكَ. ٣٧ وَجَعَلُوا فَوْقَ رَأْسِهِ عِلَّتَهُ مَكْتُوبَةً: «هَذَا هُوَ يَسُوعُ مَلِكُ الْيَهُودَ». ٣٨ حِينَئِذٍ صُلبَ مَعَهُ لَصَانٍ وَاحِدٌ عَنِ الْيَمِينِ وَوَاحِدٌ عَنِ الْيَسَارِ" (متى ٢٧).

مقدمة: نَعُدُّ قصة الصليب، قديمة جديدة. لأنها قصة يتداولها خُدام الرب منذ ألفي عام تقريباً إلى الآن، دون كلل أو ملل. إنها القصة التي خلّصت الملايين من الناس وما زالت تُخلّص. وهي تعود بذاكرتنا إلى ثلاثة صلبان علّقت خارج مدينة أورشليم فوق تل الجلجثة. الأوسط بينهم هو الأهم، لأنه قد غير وجه العالم، وعليه كُتب اسم المصلوب وعِلَّتَهُ، «يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودَ»، والتفت حوله كثيرٌ من الناس، منهم، مريم أم يسوع مع يوحنا التلميذ الحبيب، والمريمات، وبعض النسوة من بنات أورشليم، وبعض الرجال الذين تأثروا جداً لصلب من أحبهم، وجمهور من رؤساء الدين اليهودي، والشيوخ والكتبة الذين جاؤوا ليشاهدوا موت من أبغضوه واستهزأوا به، ومجموعة من الجند يرأسها قائد مئة، صلبت المسيح، ووقفت تراقب الوضع.

التفسير الوعظي: إن مشهد الجمهور حول الصليب يؤكد أن لكل واحد منهم قراءته الخاصة لقصة الصلب، وردة فعله الخاصة تجاه المصلوب، ومن المؤسف القول إن أغلب القراءات، وردّات الفعل لم تكن صائبة. ولكن من جهة الله كل ردّات الفعل كانت تخدم مشيئته الصالحة.

جملة انتقالية: من بين الجميع أريد أن أسلط الضوء فقط على الجنود الرومان، وموقفهم من المسيح، هؤلاء الذين اقتسموا ثيابه الفقيرة ليمتلكوها، ونسوا غناه الذي لا يُستقصى، وأجيب عن السؤال: ماذا فعل الجنود الرومان عند الصليب؟

أولاً- تمموا إرادة الله.

من المهم أن ندرك، أن كل الأمور التي تحدث في الحياة هي ضمن علم الله، وإذا تحدثت هذه الأمور يُسخرها لمجده. وفي ضوء هذه الحقيقة نقرأ وقوف العسكر الروماني قُدَّام الصليب، هؤلاء المتجنبون عن حياة الله بسبب غلاظة قلوبهم، الذين لا تشغلهم الأمور الروحية، أو الأخلاقية بشيء.

ماذا يفعلون عند الصليب؟ يا للعجب! إنهم دون قصدٍ منهم، يشاركون في تدمير مقاصد الله بموت المسيح بالبرهان الذي لا يُدحض. فكيف تمَّ هذا الأمر؟ يخبرنا الكتاب المقدس عن المسيح أنه "بِجِلْدَتِهِ شَفِيتُمْ"، وأنه "مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا"، وأنه "مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ"، أي أن موت المسيح أمرٌ مُحْتَمٌّ، ومن دونه لا ننتفع شيئاً من المسيح من نحو خلاصنا! بل ستكون قصته دون موته مصلوباً، قصّة أحد المتألمين الذين عبروا عالمنا ليتركوا قليلاً من الحزن في قلوب الذين قرأوها.

إن رسالة الخلاص تحتاج لمسيح مصلوب، وتحتاج لمن يؤكد قصّة الصلب، وجعلها حقيقة لا تُدحض، وهذا ما فعله العسكر الروماني دون علم منهم عندما صلبوا المسيح، وجلسوا يحرسونه حتى ساعة موته، وقد منعوا أيّاً كان من الاقتراب إليه، أو إسعافه، أو إنزاله عن الصليب قبل أن يتأكدوا بالبرهان القاطع من موته، فقدّموا بذلك شهادة للتاريخ عن حقيقة موت المسيح.

قال داود عن شخص المسيح قبل نحو ألف عام من ميلاده: "لَأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِِي كِلَابٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَشْرَارِ اكْتَنَفْتَنِي. ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ.. وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ بِي" (مزمو ٢٢: ١٦-١٧).

مع أن عقوبة الموت صلباً لم تكن معروفة في ذلك الوقت، لكن داود بروح النبوة يخبرنا أن يدي المسيح ورجليه تُثَقَبان، وأن الأشرار يحيطون به، وينظرون، ويتفَرَّسُونَ لئلا يحدث أمر طارئ ينهي قصة المسيح بغير ما يرغبون، ويا للعجب! أليس هذا ما فعله الجنود الرومان عند الصليب.

لذلك لن نصدق إن قال لنا أحدهم: إن المسيح قد صعد من الصليب إلى السماء مباشرة دون أن يموت. أو أن المصلوب ليس المسيح بل شبيه له. أو أن أحدهم سرقه. أو نزل إلى القبر مغشياً عليه ثم استيقظ وهرب.

إن الجنود الرومان خبراء متمرسون في قتل المصلوبين، وهم ينظرون ويتفرسون بعيون مفتوحة ليتأكدوا من موت المصلوب، ولو خامرهم أدنى شك في ذلك لسارعوا إلى قتله، كما فعلوا مع المسيح إذ طعنوه بالحربة، أو مع اللصين اللذين صلبا معه عندما كسروا ساقيهما لأن السبب قد اقترب.

إذن، تم الجنود الرومان دون قصد منهم إرادة الله، إذ صلبوا المسيح، وقدموا البرهان القاطع على موته.

لا أعرف ما هي ظروفك، ربما يبدو أن الأمور تسير بشكل معاكس لتوقعاتك، أو ربما يبدو الأشرار مسيطرين على حياتك والحلول غائبة. أريد أن أقول لك: إن الرب يعلم كل شيء، والأمور لا يمكن أن تتم دون موافقته. وكما اجتمع الرومان واليهود على المسيح وانتهى الأمر بتتيميم مقاصد الله في خلاص البشر، هكذا أنت أيضاً، اجتمع الأشرار عليك لتتيميم مقاصد الله الصالحة في حياتك دون أن يدروا، فثِقْ بالرب، واذكر قول ذلك المسكين، "انْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا أَمَّا اللَّهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا" (تكوين ٥٠: ٢٠).

ماذا فعل الجنود الرومان عند الصليب؟

ثانياً- حاولوا أن يزيلوا خوف بيلاطس.

إن بيلاطس الوالي هو الشخص الذي حَكَمَ على المسيح بالموت صلباً. وعلى الرغم من كل السلطان الذي يتمتع به، انتابه الشعور بالخوف عندما سمع قصة المسيح.

إحدى التهم التي وجهها اليهود ليسوع، أنه "جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنَ اللَّهِ" (يوحنا ٩: ٧). يقول الكتاب، "٨ فَلَمَّا سَمِعَ بِيَلَاطُسُ هَذَا الْقَوْلَ ارْتَدَّ خَوْفًا" (يوحنا ٩: ٨).

في أيام بيلاطس انتشرت كثيرٌ من العقائد الدينية والأساطير، ومن بينها أن الآلهة

يمكنها أن تنزل في أي وقت، وتسكن بين الناس. وربما ظنَّ بيلاطس بسبب قول اليهود عن المسيح أنه "جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنَ اللَّهِ" أنه في الحقيقة أحد هذه الآلهة، فنارت مخاوفه وخشي أن يتصرف معه بسوء، فيجلب على نفسه مشاكل لا تُحمد عُقباها، لذلك ذهب إلى يسوع وقال له: «مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟» (يوحنا ٩: ٩). إنه سؤال غريب. هل حقاً لا يعرف من أية مدينة هو، ألم يطلع على ملقه الشخصي؟ ألم يقل له أحد من رجاله أن يسوع جليلي، وقد وُلد في بيت لحم وعاش في الناصرة؟ في الحقيقة هو يعرف كل شيء، ولكنه قصد في سؤاله، أأنت من فوق، أم من أسفل؟ أنت إله أم بشر؟ ولأنَّ يسوع لم يجبه ازداد خوفه أكثر، فقال له: "أَمَّا تُكَلِّمُنِي؟ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ لِي سُلْطَاناً أَنْ أَصْلِبَكَ وَسُلْطَاناً أَنْ أُطْلِقَكَ؟" ١١ أَحَابَ يَسُوعُ: «لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيَّ سُلْطَانٌ الْبَتَّةَ لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ فَوْقُ. لِذَلِكَ الَّذِي أَسْلَمَنِي إِلَيْكَ لَهُ خَطِيئَةٌ أَعْظَمُ». ١٢ مِنْ هَذَا الْوَقْتِ كَانَ بِيلاطُسُ يَطْلُبُ أَنْ يُطْلَقَهُ" (يوحنا ٩: ١٠-١٢). وفعلاً حاول أكثر من مرة أن يتهرب من الحكم على يسوع لكنه فشل. وفي النهاية حكم عليه بالموت صلباً. ومع ذلك لم يفارق الخوف بيلاطس، وها هو يرسل الجنود ليراقبوا يسوع ويتأكدوا من موته، وهو يرجو أن يرجعوا اليه بالبشارة السارة قائلين: لقد مات الذي أخفك، وقد تأكدنا من كل شيء، فالذي قيل عنه ابن الله، مات على الصليب وانتهى. وهذا ما قاله الجنود فعلاً، فأثلجوا قلبه.

ماذا فعل الجنود الرومان عند الصليب؟

ثالثاً- سمعوا كلاماً غريباً وقالوا كلاماً غريباً.

اعتاد الجنود الرومان عند صلب المجرمين سماع كثيرٍ من التجاديف، والشتائم، واللعنات التي يُطلقها المصلوب على صالبيه، وهي في غالبيتها كلمات قبيحة. وسبب ذلك أن المصلوب يواجه الموت دون أي رجاء، وهو يدرك أن ما تبقى له من زمان الحياة لا يتجاوز بضعة ساعات، وأنه مهما قال من كلمات فإن آلامه

لا يمكن أن تزيد فوق ما هي عليه. لذلك كل ما هو مخزون في قلبه من حقد، ومرارة، يستطيع الآن دون خوف أن يُفرغه بجملة من الشتائم، تبدأ من الوالي، وتنتهي بالجنود صالبيه. لكن الذي حدث فاجأ العسكر، فبينما كانوا يصلبون اللص الأول والثاني سمعوا منهم كثيراً من الصراخ الممزوج بأقذر العبارات. ولكن إذ ابتدأوا عملية صلب المسيح سمعوه يتأوه ويصرخ من الألم لكن دون أي كلمة بطالة، وعندما رُفعت الصلبان في أماكنها استمرَّ اللسان بالتجديف والسباب، وبقي المسيح صامتاً لا يتكلم، ولا يجاري اللصين في حديثهما. ثم فجأة يتكلم المسيح بأغرب العبارات فيقول: «يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لوقا ٢٣: ٣٤). إنه يُصَلِّي، هذا مشهدٌ لم يعتادوا رؤيته من قبل، لأن الصليب عادة للمجرمين الذين لا علاقة لهم مع الله. ربما في بعض الأحيان شاهدوا مجرمين يضرعون لله لكي يصبَّ نار غضبه على الجنود، أو على بعض من الذين تسببوا في صلبهم، ليزيقهم مُرَّ العذاب الذي أذاقوه لهم. لكن أن يسمعوا صلاة غفران، من رجل مصلوب، هذا شيء لا يحدث حتى في الأحلام.

في البداية كان اللسان يجدفان على يسوع ويعيرانه، وفجأة بدون سابق إنذار إذ بأحد اللصين يُعَدِّل من كلامه، وينتهر اللص الآخر بالقول: "أَمَّا نَحْنُ فَعِدْلٌ لِأَنَّنَا نَسْأَلُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا وَأَمَّا هَذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئاً لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ" (لوقا ٢٣: ٤٠). بقوله هذا أثبت أنه أفضل من كثيرين في أيامنا هذه، حيث في المصائب بدلاً من أن يدينوا أنفسهم بالقول "ننال استحقاق ما فعلنا" يبررون أنفسهم ويدينون الله. ثم توجه بكلامه إلى يسوع قائلاً: «ادْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتُ فِي مَلَكُوتِكَ». فيجيبه يسوع بأغرب عبارة قالها مصلوب وهي غير قابلة للتكرار: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِيَ فِي الْفِرْدَوْسِ». من هو هذا؟ كيف لمصلوب أن يقول لمصلوب مثل هذا الكلام. من يملك مفاتيح الملكوت؟ الله أم هذا المصلوب، أم أن المصلوب هو الله. ثم سمعوا كلاماً آخر من يسوع لم يفهموه، «قَدْ أُكْمِلَ». ما الذي أُكْمِلَ؟ بل ما الذي أكمله يسوع على الصليب؟ ثم رأوا مشهداً لا يستطيع أحد من البشر

أن يُقلّده، المسيح يحن رأسه، ثم يستودع روحه بين يدي الله. ما اعتاده الجنود أن الإنسان في لحظة احتضاره يُسلم الروح ثم يُنكس الرأس، أما العكس فلم يفعله أحد من البشر، ولن يفعله، لأن هذا يعني أن المُحتضر له سلطان على روحه إذ يُسلمها في الوقت الذي يشاء. فإن فعلها يسوع، فمن هو يسوع؟

من بين الجنود الرومان يسلط الكتاب الضوء على أكبرهم رتبة-قائد المئة- ليقول لنا ردة فعله على كلمات يسوع وسلوكه، إذ قال: «حَقًّا كَانَ هَذَا ابْنُ اللَّهِ». هل هذا ما ظنه، أم هي قناعته، أم هو إعلان من الله؟

ولكن، وإن كان أمراً مهماً ما فعله الجنود الرومان عند الصليب فيبقى الأهم ما فعله يسوع على الصليب. وإليك هذه القصة كإيضاح:

قرية ريفية بسيطة، كلّ أكواخها من القش والخشب، تستلقي وسط غابة من الأشجار. وبينما سكانها يعيشون حياتهم اليومية الطبيعية إذ بصوت صارخ يقول: الغابة تحترق والنيران تأتي باتجاهنا. تجمع الناس حول حكيم القرية يسألونه المشورة، فقال لهم، لا نستطيع الفرار من النار لأنها ستدركنا في النهاية. ولكن هناك فرصة واحدة أمامنا لنبقى على قيد الحياة. صرخت الجموع: ما هي؟ أجاب الحكيم: اأحرقوا القرية. قال بعضهم: ولكن النار قادمة لتأكل القرية. أجاب الحكيم: ليس لدي وقت للشرح، اسمعوا كلامي، وأحرقوا القرية. فأحرقوها، ثم قالوا له: والآن ماذا نفعل؟ أجابهم، لنجلس جميعاً في الأرض المحروقة. وإذا وصلت النار إلى قريتهم لم تجد شيئاً لتأكله، فالتفت حولهم وتابعت مسيرتها، لينجوا أهل القرية من الموت المحتّم، فنجّى الحكيم المدينة بحكمته.

هل تريد أن تنجو من الموت المحتّم؟ اهرب إلى الصليب حيث هناك الأرض محروقة، وإذا تقبل عليك نار عدالة الله فإنها ستتجاوزك، لأن الأرض المحروقة لن تحترق ثانية.

على الصليب احترق المسيح بنار عدالة الله لكي لا تحترق أنت. هناك، "أَحْزَانًا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعًا تَحَمَّلَهَا... مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعْاصِينَا مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا... وَالرَّبُّ

وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا" (إشعيا ٥٣: ٤-٦). لا تختبئ في أحضان القديسين لأن النار ستلحقك، ولا تحت أعمالك الصالحة لأنها قشٌّ سُرعان ما يلتهب بنار عدالة الله. اهرب إلى "يَسُوعَ، الَّذِي يُنْقِذُنَا مِنَ الْعُصَبِ الْآتِي". (١ تسالونيكي ١: ١٠)، الذي قيل عنه، "وَنَحْنُ مُتَبَرِّزُونَ الْآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْعُصَبِ" (رومية ٥: ٩).

خاتمة: ماذا فعل الجنود عند الصليب؟

- ١- تمموا إرادة الله.
 - ٢- حاولوا أن يزيلوا خوف بيلاطس.
 - ٣- سمعوا كلاماً غريباً وقالوا كلاماً غريباً.
- والآن اسمح لي أن أسألك: ماذا تفعل أمام الصليب؟ هل أمره لا يعينك، هل هو حجر عثرة بالنسبة إليك، أو هو قوة الله للخلاص. أخشى أن تكون قراءتك للمشهد خاطئة، ومن ثمَّ ردة فعلك أيضاً خاطئة، لذلك أدعوك أن تقرأ الصليب بطريقة صحيحة وتهرب إليه فتنجو من الدينونة العتيدة.
- ولإهنا كل المجد إلى الأبد. آمين.



أناسٌ حول الصَّليب

"٢٦ وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ أُمْسَكُوا سِمْعَانَ رَجُلًا قَيْرَوَانِيًّا كَانَ آتِيًا مِنَ الْحَقْلِ وَوَضَعُوا عَلَيْهِ الصَّلِيبَ لِيَحْمِلَهُ خَلْفَ يَسُوعَ. ٢٧ وَتَبِعَهُ جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الشَّعْبِ وَالنِّسَاءِ اللَّوَاتِي كُنَّ يَلْطُمْنَ أَيْضًا وَيُبْكْنَ عَلَيْهِ... ٣٣ ولما مضوا به إلى الموضع الذي يدعى «جمجمة» صلبوه هناك مع المذنبين واحداً عن يمينه والآخر عن يساره... ٣٥ وكان الشعب واقفين ينظرون والرؤساء أيضاً معهم يسخرون به قائلين: «خلص آخرين فليخلص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله» (لوقا ٢٣).

مُقدِّمة: عندما يجتمع الناس حول مشهد، أو أمرٍ ما، فإنهم يتفاعلون بطرائق مختلفة، فمثلاً، لو اجتمع الناس حول سيارتين متصادمتين فإن كل مجموعة منهم تبدي رأياً وتعلّق على الحدث بطريقة تختلف عن الأخرى. وأيضاً لو اجتمع الناس حول التلفاز لمشاهدة مباراة ما، فإن كل مجموعة منهم ستعطي رأياً مختلفاً بالمباراة أو باللاعبين.

التفسير الوعظي: على صعيد الأمور الروحية لا يختلف الأمر، فلطالما انقسم الناس في ردة فعلهم تجاه الكتاب المقدّس، والخلق، وأزلية الله، وأزلية المادة، وغيرها من الأمور. وكذلك فعلوا في يوم صلب المسيح، حيث أحاطوا بالمسيح، لتبدي كل مجموعة منهم رأياً، أو موقفاً، مختلفاً عن الأخرى.

جملة انتقالية: هذا النص يخبرنا عن جمهور كثير من الشعب الذين أحاطوا بالصَّليب، وبنعمة الرّب سنتأمل في بعض الناس لتتعرف إلى ردة فعلهم تجاه المسيح المصلوب، وغايتنا بنعمة المسيح أن نرتفع إلى مستوى المسؤولية لنكون إيجابيين تجاه المصلوب.

أولاً- سمعان القيرواني.

"فَسَخَّرُوا رَجُلًا مُجْتَازاً كَانَ آتِيًا مِنَ الْحَقْلِ وَهُوَ سِمْعَانُ الْقَيْرَوَانِيُّ أَبُو أَلَكْسَنْدَرُسَ وَزُوفُسَ لِيَحْمِلَ صَلِيبَهُ" (مرقس ١٥ : ٢١)

كان سمعان القيرواني رجلاً يهودياً يعيش في القيروان -تونس حالياً- ويُعتقد أنه عاد إلى أرض فلسطين ليعيد عيد الفصح فيها، وربما هو سمعان نيجر، أي سمعان الأسود، أحد المذكورين في كنيسة أنطاكية (أعمال ١٣: ١). ويبدو أن لونه هذا استرعى أنظار الجند فظنوه عبداً، أو ربما إشفاقه على المسيح الذي سقط تحت حمل الصَّليب استرعى انتباههم، أو ربما ثيابه المتواضعة التي تكشف عن بساطة مظهره، هي من استرعى انتباههم، فسخَّروه لحمل الصَّليب خلف المسيح، مُلزمين إيَّاه بمثل هذا العمل المهين، فُبَغِتْ بالأمر، وأُحس بالمذلة والمهانة.

كان سمعان القيرواني في طريقه إلى مدينة أورشليم، وليس في ذهنه على الإطلاق أن يلتقي بموكب المسيح، ولو تأخر دقائق، أو تقدَّم، لما التقى بهذا الموكب. قد يقول بعضهم: إنها مصادفة. لكن الصحيح، أنه لا يوجد شيء اسمه مصادفة، فكل ما يحدث يدخل ضمن الترتيب الإلهي.

من الواضح أن سمعان لم تكن له علاقة سابقة بالمسيح قبل أن يُسَخَّر لحمل صليبه الذي أشعره بالغضب في بادئ الأمر. وإن كانت السخرة في حدِّ ذاتها إذلالاً وامتهاناً لكرامة الإنسان، حيث يُجبر على أمر لا يرغب فيه، فالأحرى بها أن تكون مهينة حينما ترتبط بحمل صليب العار.

لسنا نعلم كم من الوقت استمرت سُخرة سمعان، ومدى ما تركت في نفسه من مرارة، ولكن الأمر العجيب أن علاقة سمعان بالمسيح بدأت بألم السخرة، كما بدأت حياة كثيرين مع المسيح من نقطة الألم والعار والحزن.

هل أدرك سمعان في تلك اللحظة التي حمل فيها الصَّليب أنه يخطو إلى الخلود؟ وأن طريق الخلود دائماً مفتوح لكل من يحمل الصَّليب خلف المسيح.

عندما أراح الجند الرومان سمعان من حمل الصَّليب عند هضبة الجلجثة، تغيرت أحوال سمعان، فقرر منذ تلك اللحظة أن يرتبط ليس سخرة، بل طوعاً بالصَّليب، فعاش كل حياته ليحمله. وفي مدينة أنطاكية صار بسبب الصَّليب واحداً من القادة الخمسة للكنيسة هناك حتى أن اسمه ورد ترتيبه بعد برنابا مباشرة، وقبل بولس المذكور في آخر القائمة. ومن الواضح أن ذكر زوجته، مع ولديه (أَلْكْسَنْدَرُس) و (رُؤْفُس)، يعني أنه أضحي معروفاً في الكنيسة، وأن بيته بأكمله أضحي بيتاً مسيحياً. بل

أصبح واحداً من أهم البيوت التي أدَّت أعظم الخدمات لكنيسة المسيح! صحيح أن سمعان حمل الصَّليب لمدة قصيرة، لكن الرَّب أكرمه بأن سجَّل اسمه في ثلاثة أناجيل، والأهم في سفر الحياة.

يا له من سر عظيم، كيف ناء السيّد بحمل الصَّليب، وهو الذي وصفه كاتب الرسالة إلى العبرانيين في مطلع رسالته: "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (عبرانيين ١: ٣).

لقد تحول الصَّليب فيما بعد ذهباً يتدلى على صدور الناس، أو زينة توضع هنا أو هناك، لكنّه قبل أن يكون ذهباً، كان المأ رهيباً على قلب المسيح وجسده! ومن يستطيع أن يدرك عمق آلام السيد على الصَّليب. لذلك علينا أن نرتفع إلى مستوى المسؤولية لنكون إيجابيين تجاه المصلوب.

ثانياً- النساء الباقيات.

"٢٧ وَتَبِعَهُ جُمُهورٌ كَثِيرٌ مِنَ الشَّعبِ وَالنِّساءِ اللَّوَاتِي كُنَّ يَلْطَمُنَ أَيْضاً وَيُحْنُ عَلَيْهِ. ٢٨ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِنَّ يَسوعُ وَقَالَ: «يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ لَا تَبْكِينَ عَلَيَّ بَلِ ابْكِينَ عَلَيَّ أَنْفُسِكُنَّ وَعَلَى أَوْلَادِكُنَّ ٢٩ لِأَنَّهُ هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُونَ فِيهَا: طُوبَى لِلْعَوَاقِرِ وَالْبُطُونِ الَّتِي لَمْ تَلِدْ وَالثُدَيَّ الَّتِي لَمْ تُرْضِع. ٣٠ حِينَئِذٍ يَتَدَبَّحُونَ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ: اسْقُطِي عَلَيْنَا وَلِلْأَكَام: عَطِينَا. ٣١ لِأَنَّهُ إِنْ كَانُوا بِالْعُودِ الرُّطْبِ يَفْعَلُونَ هَذَا فَمَاذَا يَكُونُ بِالْيَابِسِ؟» (لوقا ٢٣)

جمهور كثير من النساء اللواتي تبعن يسوع كنَّ يبكين ويلطمن عليه. هؤلاء أمضين مدة طويلة في رفقته، فسمعن كلماته المعزية، ورأين عجائبه، وكنَّ شهوداً ليسوع الذي "جَالَ يَصْنَعُ خَيْراً وَيَشْفِي جَمِيعَ الْمُتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ إِنْجِلِس" (أعمال ١٠: ٣٨). يقول الكتاب المقدس: "الْتَفَتَ إِلَيْهِنَّ يَسوعُ"، مقدراً دموعهنَّ، ومحبتهنَّ. وقال لهنَّ: "لَا تَبْكِينَ عَلَيَّ بَلِ ابْكِينَ عَلَيَّ أَنْفُسِكُنَّ وَعَلَى أَوْلَادِكُنَّ"، بالنسبة إلي أستطيع أن أخلص نفسي إذ "أُطْلَبُ إِلَى أَبِي فَيَقْدَمُ لِي أَكْثَرُ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ" (متى ٢٦: ٥٣)، لكنني لأجل هذا أتيت، وما هو مِنْ جِهَتِي لَهُ انْقِضاء.

ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن، "٤٣ فَإِنَّهُ سَتَأْتِي أَيَّامٌ وَيُحِيطُ بِكَ أَعْدَاؤُكَ بِمَتْرَسَةٍ (يا أورشليم) وَيُحْدِقُونَ بِكَ وَيُحَاصِرُونَكَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ٤٤ وَيَهْدُمُونَكَ وَبَنِيكَ فِيكَ وَلَا يَبْقَى فِيكَ حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لِأَنَّكَ لَمْ تَعْرِفِي زَمَانَ افْتِقَادِكَ" (لوقا ١٩). "وَوَيْلٌ لِلْحَبَالَى وَالْمَرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ" (لوقا ٢١: ٢٣). "لأنَّه هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي يُثْبَلُونَ فِيهَا: طُوبَى لِلْعَوَاقِرِ وَالْبُطُونِ الَّتِي لَمْ تَلِدْ". فالعواقر الذين هم محط تعيير الناس في تلك الظروف من الحصار سيمدحون. وما فعله تيطس الروماني وجيشه عندما حاصر أورشليم دَفَعَ الناس من شدة المعاناة ليرتموا بسقوط الجبال عليهم. يا بنات أورشليم إن كان الرومان قد سكبوا عليّ أنا -العود الرطب- كل هذا القدر من العار والألم بسبب أولادكم، فأني عقاب أشر سيكون نصيب أولادكم -العود اليابس- الذين أسلموني للموت حسداً. من أجل هذا علينا أن نرتفع إلى مستوى المسؤولية لنكون إيجابيين تجاه المصلوب.

ثالثاً- قائد المئة.

"٤٧ فَلَمَّا رَأَى قَائِدُ الْمِئَةِ مَا كَانَ مَجَّدَ اللَّهُ قَائِلاً: «بِالْحَقِيقَةِ كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ بَاراً!»" (لوقا ٢٣).

على الرغم من أن قائد المئة لا يهتم بالأمور الدينية أو الأخلاقية، لكنه كان رجلاً نبههاً، وصاحب منطق. تفرّس في المصلوب وراقبه من لحظة جلده حتى لحظة موته. فماذا وجد في يسوع؟

إنه لم يشتم صاليبه كبقية المجرمين، بل صلّى طالباً الغفران لهم. ولم يُجب على تعبيرات اللصين المصلوبين معه، ولم يقل في حقهما كلمة، مع أنهما لم يتركا في حقه كلمة.

سمعه يقول: إلهي إلهي لماذا تركتني؟ وإذ بالطبيعة تتعاطف معه، عندما الظلمة غطت الأرض ثلاث ساعات. أمّا كلمات اللص وصلاته للمسيح فأبهرته، لينفتح ذهنه على عظمة المصلوب الذي علقت فوقه علته "هَذَا هُوَ يَسُوعُ مَلِكُ الْيَهُودِ" (متى ٢٧: ٣٧). نعم يمكن للناس أن يضربوا المسيح وأن يجلدوه ويلكموه ويصلبوه، بل أن يجردوه من ثيابه ويقسموها، أمّا صفته كملك فلا ينتزعها أحد منه.

كان هذا القائد نبياً مفتوح الذهن، فوصل بعد ساعات من المراقبة إلى نتيجة مفادها، "بِالْحَقِيقَةِ كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ بَارًّا!" أي أنه صُلب ظلماً. ووصل إلى نتيجة أخرى فقال: «حَقًّا كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ ابْنُ اللَّهِ!» (مرقس ١٥ : ٣٩).

المنطق هو المنطق، عندما تقف أمام يسوع في أي مشهد من حياته ستصل إلى النتيجة نفسها التي وصل إليها القائد الأمي؛ أن يسوع بار، وهو ابن الله. لذلك علينا أن نرتفع إلى مستوى المسؤولية لنكون إيجابيين تجاه المصلوب.

رابعاً- الشعب حول المسيح.

" ٣٥ وَكَانَ الشَّعْبُ وَاقِفِينَ يَنْظُرُونَ وَالرُّؤَسَاءُ أَيْضاً مَعَهُمْ يَسْخَرُونَ بِهِ قَائِلِينَ: «خَلَّصَ آخَرِينَ فَلْيُخَلِّصْ نَفْسَهُ إِنْ كَانَ هُوَ الْمَسِيحُ مُخْتَارَ اللَّهِ». ٣٦ وَاجْتُنِدَ أَيْضاً اسْتَهْزَؤُوا بِهِ وَهُمْ يَأْتُونَ وَيُقَدِّمُونَ لَهُ خَلًّا" (لوقا ٢٣).

يا للعجب من شعب ليس له موقف ثابت. أليس هذا هو حال بقية الشعوب، حيث يُساقون كالقطعان. عندما فتح المسيح عيني أعمى يستعطي قيل، "وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِذْ رَأَوْا سَبَّحُوا اللَّهَ" (لوقا ١٨ : ٤٣). وعندما طهر الهيكل قيل، "لأنَّ الشَّعْبَ كُلَّهُ كَانَ مُتَعَلِّقًا بِهِ يَسْمَعُ مِنْهُ" (لوقا ١٩ : ٤٨). وقد "اجْتَمَعَ رِبَوَاتُ الشَّعْبِ (حول المسيح) حَتَّى كَانَ بَعْضُهُمْ يَدُوسُ بَعْضًا" (لوقا ١٢ : ١). وعندما أطعم المسيح خمسة آلاف رجل دون النساء والأولاد، وأشبعهم من خمسة أرغفة شعيرٍ وسمكتين، قرروا أن يجعلوه ملكاً. والآن يا للسخرية، عند الصليب تبدل الأمر. إنهم واقفون ينظرون، ويسخرون. لأجل هؤلاء يموت يسوع؟ لأجل أناس تُبدل موقفها عندما يتغير المشهد. وبعد ألفي عام هل تغير الأمر؟ ما هي ردة فعل الناس عندما يسمعون عن يسوع؟ إن طلبوا منه وأعطاهم، هو الرب، وإن لم يُعطهم، من هو الرب لنعرفه، أبعد عنا ومعرفة طرقت لا نُسرّ. لذلك علينا أن نرتقي إلى مستوى المسؤولية لنكون إيجابيين تجاه المصلوب.

خامساً- الرؤساء والكهنة.

"وَكَذَلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَهُمْ مُسْتَهْزِئُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَعَ الْكَتَبَةِ قَالُوا: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا" (مرقس ١٥ : ٣١).

رؤساء الكهنة يستهزئون، مع أن كلمة الرب تقول "الْقِصَاصُ مُعَدٌّ لِلْمُسْتَهْزِئِينَ" (أمثال ١٩: ٢٩)، والمؤمن: "بِئْسَ يَجْلِسُ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ" (مزمور ١: ١).
إنهم يعترفون أن المسيح خلّص آخرين، ومع ذلك يقولون: "وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا"، لم يدركوا بعد أنه لم يخلص نفسه عجزاً، بل حباً بهم. لو خلّص نفسه لهلكوا بخطاياهم.

قالوا كلمات لا يَسُوعُ لِإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا: "اتَّكَلْ عَلَى الرَّبِّ فَلْيُنَجِّهِ. لِيُنْقِذْهُ لِأَنَّهُ شَرٌّ بِهِ" (مزمور ٢٢: ٨). بمعنى، إن كان الله أقوى مِنَّا فليُنَجِّهِ، يا للعار يُهينون الله، وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ عَلَيْهِ. لقد اخذوا بتصرفهم هذا إلى مصافِّ أخطأ أصناف البشر. لذلك علينا أن نميز أنفسنا عنهم ونرتفع إلى مستوى المسؤولية لنكون إيجابيين تجاه المصلوب.

سادساً- اللصّان.

"٣٣ وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى «جُحْمَةَ» صَلَبُوهُ هُنَاكَ مَعَ الْمُذْنِبِينَ وَاحِداً عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ" (لوقا ٢٣: ٣٣).

قيل بروح النبوة عن المسيح "أحصى مع أئمة" وها هو البار يعلق بين المجرمين، لأجل المجرمين. ولكن كيف كانت ردة فعل هذين اللصين على المسيح؟
في البداية قيل: "وَاللَّذَانِ صَلَبَا مَعَهُ كَانَا يُعِيرَانِهِ" (مرقس ١٥: ٣٢). إنها ثلاث ساعات أمضاها المسيح بين شتائم ولعنات اللصوص، دون أن ينبس ببنت شفة. كم هو مؤلم أن يسمع البار كل هذه الشتائم وهو الذي اعتاد سماع صوت استغاثات الناس، أو صوت الآب القدوس. ولكن فجأة أحد اللصين يقول للصوص الآخر: "٤١ أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدَلٍ لَأَتَنَا تَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا وَأَمَّا هَذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئاً لَيْسَ فِي مُحَلِّهِ". ٤٢ ثُمَّ قَالَ لِيَسُوعَ: «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ» (لوقا ٢٣).

لاشك أنه راقب يسوع يُحاكم أمام بيلاطس ويُجلد، وراقبه يحمل صليب باراباس، وراقبه مُعلّقاً بين السماء والأرض ينزف المأدون أن يخطف بحق أحد، بل يفعل ما يفوق التصور، إذ يبارك لاعنيه ويلتمس لهم العذر في صلبه، فأدرك هذا اللص بنعمة الله أن المسيح وإن كان مصلوباً، هو ملكٌ. وبرهن أنه أفضل من بيلاطس، لأن

بيلاطس شهد لبِرَّ المسيح ثمَّ جَلَدَه، وأسلمه للصليب، لكنَّ اللص شهد لبِرَّ المسيح وآمن، وأيضاً إنه أفضل من رؤساء الكهنة الذين اصطدموا بصليب المسيح فعثروا. لقد صُلب المسيح بين المذنبين، وأُحصي مع الأثمة، لكنَّه حَمَلَ خطيئة كثيرين، وشفع في المذنبين. فاسمح لي أن أقول لك: حتى لو كنت بمستوى اللصوص إجراماً، فإنَّ المسيح يريد أن يخلصك، إن كنت تريد. لذلك علينا أن نرتفع إلى مستوى المسؤولية لنكون إيجابيين تجاه المصلوب.

خاتمة:

كثيرون تحلقوا حول يسوع في يوم صلبه، فهل تُشبه أحدهم؟ يسوع احتمل الهزء والعار من أجلك ومن أجلي، فأرجوا ألا تكون متفرجاً فقط، لكن متأثراً ومتجاوباً مع صوته القائل: "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ" (متى ١١ : ٢٨). ولأن عمله الخلاصي ما زال ساري المفعول إلى يومنا هذا اغنم الفرصة واقبل خلاصه، واهرب به من الغضب الآتي، وتذكَّر هذا الحق، علينا أن نرتفع إلى مستوى المسؤولية لنكون إيجابيين تجاه المصلوب. ولإلهنا كل المجد إلى الأبد. آمين.

كلمات يسوع على الصليب

" ٢٥ وَكَانَتِ السَّاعَةُ الثَّلَاثَةُ (التاسعة صباحاً) فَصَلَبُوهُ. ٢٦ وَكَانَ غُنُوانٌ عَلَيْهِ مَكْتُوباً «مَلِكُ الْيَهُودِ». ٢٧ وَصَلَبُوا مَعَهُ لَصَيْنَ وَاحِداً عَنْ يَمِينِهِ وَآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ. ٢٨ فَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «وَأُخْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ»... ٣٣ وَلَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ السَّادِسَةُ (الثانية عشرة ظهراً) كَانَتْ ظُلُمَةٌ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ الثَّاسِعَةِ (الثالثة بعد الظهر). ٣٤ وَفِي السَّاعَةِ الثَّاسِعَةِ (الثالثة بعد الظهر) صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِلَوهِي إِلَوهِي لِمَا شَبَقْتَنِي؟» (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: إِلَهِهِ إِلَهِهِ لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟)... ٣٧ فَصَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ... ٣٩ وَلَمَّا رَأَى قَائِدُ الْمِئَةِ الْوَاقِفُ مُقَابِلَهُ أَنَّهُ صَرَخَ هَكَذَا وَأَسْلَمَ الرُّوحَ قَالَ: «حَقًّا كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ ابْنُ اللَّهِ!» (مرقس ١٥)

مقدمة: أجمل الرسائل وأكثرها تعبيراً عن شخص قائلها، والتي تكتسب وقعاً خاصاً عند الآخرين، هي تلك الكلمات التي تُقال وقت الاحتضار، حيث يوح المحتضر بمكونات قلبه مُعبّراً بطريقة فريدة لا لبس فيها عن شخصيته. فإذا كان المحتضر حكيماً، زادت كلماته السامعين علماً.

التفسير الوعظي: هكذا أيضاً بالنسبة إلى يسوع الذي كان يحتضر على الصليب من الساعة التاسعة صباحاً حتى الساعة الثالثة بعد الظهر، حيث صرخ بصوت عظيم وأسلم الروح. وخلال هذه الساعات الستة سجّل لنا الكتاب المقدس سبع جُمْلٍ نطقها المسيح عبّرت عن مكونات قلبه، وعن شخصيته بطريقة فريدة لا لبس فيها، وهي تعني لنا كثيراً كمؤمنين، إذ تزيدنا علماً وحكمةً.

جملة انتقالية: من هذا النص ومن غيره من النصوص سأقتبس الجُمْل السبعة فقط التي سجلها لنا الكتاب المقدس، وأتوقف عندها لكي نزيد علماً وحكمةً من شخص المسيح، فما هي كلمات المسيح؟

الجملة الأولى: "فَقَالَ يَسُوعُ: يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لوقا ٢٣: ٣٤).

كم هو مدهش أن شخصاً معلقاً على الصليب ظملاً، والموت يزحف إليه ليغطيه، نجده يلتمس العذر لصاليه.

دون الصليب، وفي أمورنا البسيطة بالكاد، وبالجهد، نقول لأحبائنا الذين أسأوا إلينا: يُسامحك الرب. وفي الحقيقة لا نقدر أن نسامح الآخرين بكثير أو قليل دون دافع، لكن شكرًا لله لأنه أعطانا الدافع كمؤمنين لنغفر حتى لأعدائنا، إذ في المسيح يسوع قد سامحنا الله في كثير من أخطائنا ليمكننا من مسامحة الآخرين في قليل منها، لكن ماذا عن يسوع؟ إنه بالمطلق لم يخطئ بحق أحدٍ حتى يُغفر له، ومن ثمَّ ما دافعه للغفران؟ تقول كلمة الرب: "وَأَسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضًا وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، قَرْنَانًا وَذَيِّحَةً لِلَّهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً" (أفسس ٥: ٢). وهذا يعني أن طبيعة المسيح المُحِبَّة كانت دافعه للموت على الصليب من أجل غفران خطايانا. سأل بطرس بعقلية اليهودي الذي تعلَّم أن يغفر ثلاث مرات فقط: "يَا رَبُّ كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنَا أَغْفِرُ لَهُ؟ هَلْ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ؟" (متى ١٨: ٢١).

ظنَّ بطرس بكلامه هذا أنه يُرضي المسيح الذي علَّم كثيراً عن الغفران، ولا سيما في الموعظة على الجبل، فأجابه يسوع: "لَا أَقُولُ لَكَ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ بَلْ إِلَى سَبْعِينَ مَرَّةً سَبْعِ مَرَّاتٍ" (متى ١٨: ٢٢).

إن الغفران لا حدود له، فهو ليس كلمة ثقال، بل حياة تُعاش، وعلى المسيحي أن يتوشَّح بالغفران لأن المسيح قد وُقِّر له الدافع عندما غفر له كل خطاياه.

عندما ينتهي الغفران يبدأ الانتقام الذي هو شرٌّ، والكتاب يقول: "لَا يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلْ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْحَيْرِ" (رومية ١٢: ٢١). الكل يقدر أن يَنْتَقِمَ صانعاً شرًّا. لكن القلائل هم من تَجَنَّبُوا حياة الانتقام، وعاشوا ليعملوا الصلاح، لأن المسيح الذي أحبهم سامحهم في كل شيء. وسؤالي لك: هل انتفعت من غفران المسيح، وعشت حياة الغفران، أم ما زلت تعيش حياة الانتقام؟
يا ليتنا نزداد علمًا وحكمةً من شخص المسيح.

الجملة الثانية: "فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِيَ فِي الْفِرْدَوْسِ»" (لوقا ٢٣: ٤٣).

هذا الكلام موجه لشخص أمضى جُلَّ حياته في اللصوصية، وها هو يختتمها مصلوباً بسبب جرائم القتل التي ارتكبها مع زميله اللص الآخر، "الَّذِينَ فِي الْفِتْنَةِ فَعَلُوا قَتْلًا" (مرقس ١٥: ٧). كان الصليب بالنسبة إليه الجزء المنطقي، وهو يوافق على هذا الجزء عندما يقول لزميله اللص الآخر: "أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدَلٍ لِأَنَّا تَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا" (لوقا ٢٣: ٤١). ومع ذلك يقول له الرب: " الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِيَ فِي الْفِرْدَوْسِ". إنها عبارة تأكيدية لا تحمل التأويلات. لم يقل له: ربما تكون، أو أرجو أن تكون، أو إِنَّ شَاءَ الرَّبِّ وَعَشْنَا تكون معي، بل قال له: "الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِيَ فِي الْفِرْدَوْسِ". يا له من وعد يتضمن أن المسيح واللص يموتان، وأن كليهما يكونان معاً ليس في القبر، بل في الْفِرْدَوْسِ. إنها كلمات تنفي ما يسمّى "رقاد النفس"، حيث لاوعي بعد الموت إلى يوم القيامة. وتنفي وجود "المطهر" مكان الألم والقصاص، حيث العدالة الإلهية فيه تُطَهِّرُ أنفس المؤمنين لتصبح مستعدة للدخول إلى الملكوت. وتنفي بقاء الروح مع الجسد في القبر إلى يوم القيامة. إن هذا الوعد يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن أرواح المؤمنين تبقى حية بعد انفصالها عن الجسد وتدخل على إثر الموت إلى الْفِرْدَوْسِ مكان المجد والسعادة.

الرب يسوع لا يعطينا معادلات رياضية، قائمة على احتمالات لانهاية لها، نتقلب فيها حتى نموت. وعندما نموت لا نعرف على أي وسادة نضع رأسنا، هل في دينونة أبدية تعيسة، أم في حياة أبدية سعيدة. الرب واضح في قوله، والكلام لا يحتاج لتأويل، "الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِيَ فِي الْفِرْدَوْسِ"، يعني اليوم أنت معي فِي الْفِرْدَوْسِ. ماذا فعل هذا اللص حتى ذهب إلى الْفِرْدَوْسِ؟ لا شيء. إِنَّهُ مُسَمَّرٌ عَلَى الصَّليب، ويداه غير قادرتين على فعل أي شيء صالح، بل هو لا يملك فرصة لينزل عن الصليب ويفعل أي شيء صالح.

قلبه حر، ولسانه طليق. بقلبه الحر آمن يسوع، ولسانه الطليق اعترف بروبية المسيح وسيادته عندما قال: "اذكرني يا رب"، وكان هذا كافياً لخلاصه. وهذا يعني ببساطة أنَّ خلاصنا لا يتوقف على أعمالنا، بل على إيماننا، كقول الرب: "مَنْ آمَنَ بِي (ليس من عَمِلَ أعمالاً صالحة) وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا" (يوحنا ١١: ٢٥).

يا لهناء هذا اللص الذي آمن، إنه الآن في الفردوس يتنعم بانتظار اللحظة التي ينتقل فيها إلى بيت الآب مع جميع الذين آمنوا بالرب يسوع المسيح مخلصاً.

ألا تشتهي أن تكون معهم؟! اغنم الفرصة ولا تتواني، آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص. يا ليتنا بوداعة نقبل كلامه، لنزداد علماً وحكمة من شخصه.

الجملة الثالثة: "٢٦ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أُمَّهُ وَالتِّلْمِذَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ وَاقِفًا قَالَ لِأُمِّهِ: «يَا امْرَأَةُ هُوَذَا ابْنُكَ». ٢٧ ثُمَّ قَالَ لِلتِّلْمِذِ: «هُوَذَا أُمُّكَ». وَمِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ أَخَذَهَا التِّلْمِذُ إِلَى خَاصَّتِهِ" (يوحنا ١٩).

مع أن يسوع على الصليب ينزف الماء، ويحتاج لمن يرثي له ويعطف عليه، لكننا نراه يبادر بالعطف على خاصته. قال لمريم: "يا امْرَأَةُ"، إنها عبارة مليئة بالاحترام تشبه ما نقوله في لغتنا الحالية لامرأة موقرة: يا سيّدة. ثم تابع قائلاً: "هُوَذَا ابْنُكَ". والسؤال، لماذا يوحنا؟ ربما بسبب صلة القرى، حيث يرجح بعضهم أن سالومة أم يوحنا هي أخت مريم أم يسوع. لكن الغريب في الأمر أن إخوة يسوع الذين يذكرهم الكتاب بالاسم، "إِخْوَتُهُ يَعْقُوبُ وَيُوسِي وَسَمْعَانُ وَهُوْدَا" (متى ١٣: ٥٥)، لم يكونوا ساعة الصلب. صحيح أنهم "لَمْ يَكُونُوا يُؤْمِنُونَ بِهِ" (يوحنا ٧: ٥). ولكن كيف لا يوجدون في مثل هذا الموقف! على كل، غياهم أو حضورهم سيّان، لأن قرار المسيح أن تكون مريم مع يوحنا لن يتغير، حيث المسيح لا يُعوّل على العلاقة الجسدية، بل على العلاقة الروحية. وهذا ما يؤكدته الكتاب المقدس حيث يخبرنا عن المسيح أنه بينما "يُكَلِّمُ الْجُمُوعَ إِذَا أُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ قَدْ وَقَفُوا خَارِجاً طَالِبِينَ

٤٧ «هُوَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ وَاقْفُونْ خَارِجاً طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوكَ». ٤٨ فَأَجَابَهُ: «مَنْ هِيَ أُمِّي وَمَنْ هُمْ إِخْوَتِي؟» ٤٩ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ نَحْو تَلَامِيذِهِ وَقَالَ: «هَآ أُمِّي وَإِخْوَتِي. ٥٠ لِأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي». (متى ١٢: ٤٦-٥٠).

لأجل هذا طلب المسيح على الصليب من يوحنا أن يهتم بمريم، لأن عائلة الله هم المؤمنون باسمه "الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ وَلَا مِنْ مَشِيئَةٍ جَسَدٍ وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ بَلْ مِنْ اللَّهِ" (يوحنا ١: ١٣). فيا ليتنا نزداد علماً وحكمةً من شخص المسيح.

الجملة الرابعة: "وَنَحْوُ السَّاعَةِ الثَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِلَيَّ إِلَيَّ لِمَا شَبَقْتَنِي» (أَي: إِلَهِي إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟)" (متى ٢٧: ٤٦).

لاحظ أن يسوع صرخ بصوتٍ عظيم، وهذا يعني أنه على الرغم من كلّ المعاناة لم يكن ضعيفاً. لقد صرخ ليسأل الآب السماوي عن أمر يحرّره، "لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟"، ولم يصرخ لأنه يعاني. صرخ كابن الإنسان المحدود، وهذا أمر مشروع.

القدوس البار يقول للآب السماوي، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته، بل أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت. لم أرفض، أو أتذمر من أي طلب. لم يكتفي أحد على خطية، وما وجد في فمي مكرراً أو غشاً. فلماذا تحجب وجهك عني؟ إن سؤال يسوع مأخوذ من (المزمور ٢٢)، حيث يتكلم داود بروح النبوة عن المسيح المتألم قبل مجيئه بنحو ألف عام. والمسيح ردها ليس كسؤال فقط، ولكن كتتميم للنبوة، وكان المفترض بقيادة اليهود الماثلين أمامه أن يذكروا ما قاله داود عن المسيح، فتفتتح عيونهم على حقيقته، ويندموا عن شر أعمالهم لكن عيونهم أُمسكت. فسؤال المسيح للآب السماوي كان فرصة لهم للتوبة، ومن الحماقة إضاعته. على كلّ، السماء صَمَتَتْ ولم تتكلم، وهذا أمر طبيعي، فعندما نخطئ يحجب الله وجهه عنا، وعندما يحمل المسيح خطايانا كذلك يحجب الله وجهه عنه، لأن الله قدوس، وعينه أظهر من أن تنظر الشر. أمّا عن العلاقة مع الله فهي لن تعود إلّا

عندما تستوفي عدالته حقها. وإذ تم المسيح كل شيء يرتبط بعدالة الله، أي أوفائها حقها، استودع روحه بين يدي الآب السماوي، الذي أعادها له بعد ثلاثة أيام عندما أقامه من بين الأموات.

في أزمنة الضيق نصرخ مع المرنم "إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَسْأَلُنِي كُلَّ النَّسْيَانِ! إِلَى مَتَى تَحْجُبُ وَجْهَكَ عَنِّي!" (زمور ٣١ : ١). ونقول: "يَا رَبُّ لِمَاذَا تَقِفُ بَعِيداً؟ لِمَاذَا تَحْتَفِي فِي أَزْمَنَةِ الضِّيقِ؟" (زمور ١٠ : ١). إِنَّ السُّؤَالَ مشروع، وصمْتُ السَّمَاءِ مشروع، ولكن الأمر غير المشروع هو أن نبقي عند السؤال. علينا أن نشق بإلهنا الذي لم يتركنا في الماضي ولن يتركنا في الحاضر أو المستقبل. علينا أن نتابع مسيرتنا دون أدنى شك بصلاحه، وأن نرمي أنفسنا بين يديه كما يرمي الطفل الجريح نفسه في حضن أبيه، وهو عالمٌ أن هذا هو المكان الأفضل لشفاؤه. قد يجيبنا الله بعد وقت، وقد لا يجيب، هذا ليس بالأمر المهم، ما يعيننا ويكفينا أنه معنا إلى انقضاء الدهر. فيا ليتنا نزداد علماً وحكمةً من شخص المسيح.

الجملة الخامسة: "٢٨ بَعْدَ هَذَا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ فَلِكُنِّي يَتِمُّ الْكِتَابُ قَالَ: «أَنَا عَطْشَانٌ»" (يوحنا ١٩ : ٢٨).

قبل الصَّلب "أَعْطَوْهُ خَلاً مَمْزُوجاً بِمَرَارَةٍ لِيَشْرَبَ. وَلَمَّا ذَاقَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَشْرَبَ" (متى ٢٧ : ٣٤). "وَأَعْطَوْهُ خَمْراً مَمْزُوجَةً بِمُرٍّ لِيَشْرَبَ فَلَمْ يَقْبَلْ" (مرقس ١٥ : ٢٣). وإذ عُلق على الصَّليب لم يَشْكُ كل آلام الجلد، ولا إكليل الشوك والمسامير، لكنه شكا عطشاً. فلماذا العطش؟ صحيح أن هذا ليتم الكتاب، "وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عُلْقُماً وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلاً" (زمور ٦٩ : ٢١). ولكن الصحيح أيضاً أن كلمات يسوع لها علاقة بالأبدية.

في قصة الغني ولعازر، يخبرنا الرب أن الغني غير المؤمن مات ودفن، ووجد نفسه في الجحيم يتعذَّب. بينما لعازر المؤمن حينما مات حملته الملائكة إلى حضن إبراهيم ليتعزى. وحضن إبراهيم كناية عن الفِرْدَوْس، المقر المؤقت لراحة نفوس الأبرار.

ومن الجحيم نادى الغني إبراهيم قائلاً: "يا أبي إبراهيم ارحمني وأرسل لي عازراً ليبلّ طرف إصبعه بماء ويبرد لساني لأني مُعَذَّبٌ في هذا اللهب" (لوقا ١٦: ٢٤). ها هو يطلب الرحمة في الوقت الخطأ، ناسياً أن الرحمة كانت قبل الموت، زمان الحياة، لكن الآن لا توجد رحمة. كم سمع هذا الغني في أثناء حياته على الأرض كلاماً عن التوبة ورفض، والآن يحصد جزاء رفضه. إنّه يصرخ في الجحيم، أنا معذب في اللهب، أرحوك يا أبي إبراهيم، أنا عطشان وأحتاج لقطرة ماء أبرد بها لساني. فالعطش على ما يبدو صورة من صور الآلام في الأبدية، وإذ يقول يسوع على الصليب: "أنا عطشان". فهو يحمل مع خطايانا، عطشنا، لئلا يصيبنا ما أصاب الغني وسط نيران الجحيم. فيا ليتنا نزداد علماً وحكمةً من شخص المسيح.

الجملة السادسة: "قَدْ أَكْمِلَ" (يوحنا ١٩: ٣٠).

قبل أن يُسلم الروح، صرخ يسوع بصوتٍ عظيم وقال: "قَدْ أَكْمِلَ"، "الْعَمَلُ الَّذِي أُعْطِيتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ" (يوحنا ١٧: ٤). وكمنتصرٍ ذاهب إلى المجد، غرس رايته على المرتفعات الدهرية، لأنه "كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمَ بِهَذَا وَيَدْخُلَ إِلَى مَجْدِهِ؟" (لوقا ٢٤: ٢٦).

إن العبارة "قَدْ أَكْمِلَ" هي ذات بعد تجاري، وتعني (خالص الثمن). أو بتعبير آخر (الحساب مدفوع، وليس عليك شيء بعد الآن). فنعماً لك أيها المؤمن يامن أغلق حساب خطيئتك إلى الأبد، فلنفرح جميعاً ونُسّر، لأنه "لَا شَيْءٌ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الْآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (رومية ٨: ١).

ماذا فعل يسوع على الصليب؟ بكل بساطة قدّم نفسه ذبيحةً كاملةً، أي ذبيحة تختلف عن ذبائح العهد القديم التي كان يُقدمها العابد مراراً وتكراراً، وهي لا تستطيع أن تُظهِر قلوب الذين يتقربون بها إلى الله، ولا أن توصلهم إلى الكمال ففريحت ضمائرهم.

يسوع على الصليب يقول: أنا الذبيحة الكاملة المرفوعة من أجلكم، ذبيحة تريح ضمائركم من جهة الخطايا وتعطيكم الفداء الأبدي.

قيل عن المسيح، "وَلَيْسَ بِدَمِ تَيْوُسٍ وَعُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الْأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ (لَنَا) فِدَاءً أَبَدِيًّا" (عبرانيين ٩: ١٢). وهكذا لم يعد العابد محتاجاً لذبائح أخرى للتكفير عن خطاياه، لأن المسيح ختم قصة الذبائح بتقديم نفسه ذبيحةً كاملة تُكفّر عن الخطايا مَرَّةً وإلى الأبد، ليتم المكتوب، "وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ" (١ يوحنا ١: ٧).

"قَدْ أَكْمَلْ"، أي صار لنا بالإيمان بيسوع المسيح الحياة الأبدية، وهذا معناه أننا لا نحتاج لمشروع خلاص آخر، لأن كل خطايانا تحت الدم، والمسيح لا يعمل عملاً ناقصاً، ويعني أيضاً، أنه مهما كانت خطايانا شديدة، نستطيع أن نأتي إليه لنجد فيه كل الكفاية. فيا ليتنا نزداد علماً وحكمةً من شخص المسيح.

الجملة السابعة: "وَنَادَى يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «يَا أَبَتَاهُ فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي». وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ" (لوقا ٢٣: ٤٦).

حاول الشيطان مراراً وتكراراً أن يقتل المسيح، فهيج عليه هيرودس، وهيج عليه الجموع، ومع ذلك لم يُفلح. ومع أنه نجح في اقتياده إلى الصليب عن طريق اليهود والرومان، لكنه لم ينجح في قتله. قال المسيح عن نفسه: "لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعُهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَخْذُهَا أَيْضاً" (يوحنا ١٠: ١٨). ليس أحد يأخذها مِنِّي، لا اليهود، ولا قيصر روما، ولا الشيطان وكل أعوانه. أنا أضعها في الوقت المعين، وأخذها أيضاً في الوقت المعين، وهذا ضمن سلطاني.

إن قصة موت المسيح على الصليب تؤكد هذه الحقيقة، لاحظ معي قول الكتاب عن المسيح، "وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ" (يوحنا ١٩: ٣٠). أليس هذا غريباً! أليس

من المفترض أن يموت المسيح مثل كل الناس، إذ يُسلَّمون الروح ويُنكسون الرأس، فلو لم يكن للمسيح سلطان على نفسه ل ماتَ هكذا. لكن الكتاب يقول لنا إن المسيح نكس رأسه ثم أسلم الروح، أي أنه بعد أن أنهى مشرع خلاصه بالتمام، وبعد أن زايله الإحساس بفقدان رضا أبيه، نكس رأسه وخاطب أباه السماوي قائلاً: "يَا أَبَتَاهُ فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي"، وبوصفها وديعة، لا بد أن تُسترد، وقد استُردت في اليوم الثالث. فيا ليتنا نزداد علماً وحكمةً من شخص المسيح.

خاتمة:

الذي صنَّ العالمين، وطرح النجوم في الفضاء ودعاها بأسماء. الذي يحفظ المجرات الواسعة في مساراتها، ويزن الجبال بالقبآن والآكام بالميزان. الذي يرفع الجزر كلاشيء في يده، ويحمل في كفه مياه المحيطات. الذي قدَّامه يبدو سَكَّان الأرض كالجندب.

من أجل خلاصنا، نراه قد أسلم نفسه بين يدي ثلَّة من المجرمين ليعلقوه مصلوباً بين الأرض والسما، وهناك فوق الصليب نطق بسبع جملٍ تؤكد مقدار اهتمامه بكل من هم حوله، ومن يخصه، وتؤكد أيضاً كفاية عمله، وسلطانه على نفسه بوصفه ابن الله، كما قال عنه قائد المئة: "حَقًّا كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ ابْنُ اللَّهِ!".

من هو المسيح بالنسبة إليك؟ وما هو موقفك منه؟ أدعوك لتأمل في كلماته وتزداد علماً وحكمة من شخصه، لأن في حفظ كلامه ثواباً عظيماً.

له كل المجد في الكنيسة إلى الأبد. آمين.

نَتَائِجُ صَلْبِ الْمَسِيحِ

"الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ»" (غلاطية ٣: ١٣).

مقدمة: إن أعمالنا التي نقوم بها في هذه الحياة تترتب عليها نتائج مُعَيَّنة، فمثلاً: عندما نهاجر من بلد إلى آخر، يترتب علينا جملة من النتائج أهمها، الخضوع لعادات اجتماعية غريبة عنا، وكذلك لقوانين ودراسات جديدة.

عندما يقرر أحدهم العمل في مصنع للكيمياويات، يترتب عليه جملة من النتائج أهمها ارتداء ثياب معينة، وتناول طعام معين، تفادياً لحدوث مشاكل صحية.

التفسير الوعظي: هكذا أيضاً على صعيد الأمور الروحية، عندما نقوم بعمل ما، أو نتخذ قراراً ما، فإن هذا يترتب علينا عدة نتائج من جهة الحياة الأبدية. وإذا نتحدث عن شخص المسيح الذي قرر طوعاً أن يموت صلباً، لا بد أن نتحدث عن جملة من النتائج العظيمة التي ترتبت على هذا القرار.

جملة انتقالية: إن القرار الطوعي لموت المسيح مصلوباً ترتبت عليه جملة من النتائج المهمة، فما هي نتائج صلب المسيح؟ والتي تلزمننا أخلاقياً أن نعيش لأجله.

أولاً- افتدانا من لعنة النَّامُوسِ.

"الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ»".

لكي نفهم هذه الآية ينبغي أن نجيب عن ثلاثة أسئلة:

١- ما هي لعنة النَّامُوسِ؟ إنها الموت الذي هو أجرة كسر الوصية. وبما أنه لم يستطع أحد أن يحفظ النَّامُوسِ، فقد صار جميع الذين من "أعمال النَّامُوسِ" تحت لعنة، أي تحت حكم الموت، فالنَّامُوسُ إذًا، أتى باللعنة على الذين تحته،

أي على الذين يظنون أنّ خلاصهم مرتبط بأعمالهم، ومن ثمّ فكلّ إنسان يميل إلى مبدأ الأعمال لأجل خلاصه، هو بذلك يضع نفسه تحت اللعنة دون أن يدري.

٢- ما هو الفداء؟ إنه التحرير بالشراء. قديماً كان العبد مُلكاً لسيّده ومهما فعل لأجل السيّد، فإن عمله يُحسب من قبيل الواجب، ولم يكن قادراً على التحرر من عبوديته إلا عندما يتقدم شخصٌ خُرٌّ ليدفع ثمنه، أي ليشترته.

ماذا فعل المسيح معنا، نحن الذين كنّا عبيداً للخطية؟ الذين كسرنا وصايا الله فوقنا تحت لعنة النَّامُوس، أي الموت. يقول الكتاب: إنّ المسيح افتدانا، أي اشترانا من عبودية الخطية، والموت. وما هو الثمن الذي دفعه فينا؟ يقول الكتاب: " ١٨ عَالِمِينَ أَنْكُمْ افْتَدَيْتُمْ لَا بِأَشْيَاءٍ تَقْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقْلَدْتُمُوهَا مِنَ الْآبَاءِ، ١٩ بَلْ بِدَمِ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلَا دَنْسٍ، دَمَ الْمَسِيحِ " (١ بطرس ١). إذاً، الثمن المدفوع لتحريرنا هو دم المسيح المسفوك على خشبة الصليب، فالمسيح حررنا بالشراء، أي افتدانا. إذن، لم يفتدِ النَّاس من لعنة النَّامُوس بحفظه للوصايا العشر خلال حياته، لكنه افتدانا من لعنة النَّامُوس خلال موته. وإذا افتدانا أصبحنا مُلكه، كقول الكتاب: " وَأَنْتُمْ لَسْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ؟ ٢٠ لِأَنْكُمْ قَدْ اشْتَرَيْتُمْ بِشَمَنِ " (١ كورنثوس ٦: ١٩-٢٠). ولأننا مُلكه، ينبغي أن نعيش لأجله.

٣- هل كانت للعنة النَّامُوس علاقةٌ بالمسيح؟ حاشا، فالمسيح هو الوحيد الذي حفظ النَّامُوس، ومن ثمّ يستحق البركة. لكن الذي يستحق البركة، والذي ليس للنَّامُوس أيُّ مطلبٍ عليه، صار لعنةً على الصليب لأجلنا، لكي يفتدينا. وقد وقعت عليه هذه اللعنة، أي حُكم الموت، بصفته بديل الإنسان، فالمسيح ليس خاطئاً في ذاته، بل إنّ خطايا الإنسان وُضعت عليه، فصار خطيئةً لأجلنا، فاستحق اللعنة، أي الموت. وبهذه الطريقة نفهم أنّ الذي يُعلق على

الخشب لا يصير ملعوناً، أي تحت حكم الموت، بل من عُلق على الخشب هو بالأصل ملعونٌ، أي تحت حكم الموت.

يا له من عمل عظيم أن الله "جَعَلَ" (المسيح) الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً لَأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بَرَّ اللَّهِ فِيهِ" (٢ كورنثوس ٥: ٢١).

لذلك اذكر هذا الحق، أن المسيح حررنا بالشراء، أي افتدانا. وإذ افتدانا أصبحنا مملكه، ولأننا مملكه ينبغي أن نعيش لأجله.

ثانياً- افتدانا من النَّامُوسِ ذاته.

"فَإِنَّ الْخَطِيئَةَ لَنْ تَسُودَكُمْ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ" (رومية ٦: ١٤) + "وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنَ النَّامُوسِ" (رومية ٧: ٦).

يخبرنا الكتاب المقدس أنه "بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةُ الْخَطِيئَةِ" (رومية ٣: ٢٠). أي من دون النَّامُوسِ لا يمكن أن نميز الخطية، ونعرف الكم الهائل من الشرور التي نفعلها، لأننا نظن أن كل ما نفعله لا يتعارض مع قداسة الله. "فَمَاذَا نَقُولُ؟ هَلِ النَّامُوسُ خَطِيئَةٌ؟ حَاشَا! بَلْ لَمْ أَعْرِفِ الْخَطِيئَةَ إِلَّا بِالنَّامُوسِ. فَإِنِّي لَمْ أَعْرِفِ الشَّهْوَةَ لَوْ لَمْ يَقُلِ النَّامُوسُ «لَا تَشْتَهُ»." (رومية ٧: ٧). من أجل ذلك يقول الكتاب: "وَأَمَّا النَّامُوسُ فَدَخَلَ لِكَيْ تَكْثُرَ الْخَطِيئَةُ" (رومية ٥: ٢٠). هذا لا يعني أن النَّامُوسِ هو من يولد الخطية في حياة الإنسان، أو يدفعه لفعلها، حاشا، بل يعني أنه المرأة التي تكشف الكم الهائل من الخطايا الموجودة في حياته.

بتعبير بسيط، قبل النَّامُوسِ لم يكن الإنسان يعلم أن الكذب خطية، والزنا خطية، والسُّكْر خطية، والشهوة خطية... إلخ. ولكن عندما جاء النَّامُوسِ أدرك هذه الحقائق، وأن جُلَّ ما يفعله هو خطية، فكثر الخطية في حياته.

مع أن النَّامُوسِ صالح، ويُعرِّفنا على الخطية، لكنّه مع الأسف لا يعطينا القوة لغلبتها. وهنا يكمن ضعف النَّامُوسِ لأنه دعا للطاعة أناساً لا قوّة لهم لإتمامها.

إنه يقول لك: لا تسرق. تقول له: حسناً، ساعدني. يقول لك: هذا ليس دوري. يُعرِّفك على الخطيئة ويقول لك تصارع معها، وإذ تحاول أن تغلبها تجد نفسك مغلوباً منها، وهذا ما دفع الرسول بولس ليقول بسبب النَّامُوسِ: "وَيْحِي أَنَا الْإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُتَّقِدُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا الْمَوْتِ؟" (رومية ٧: ٢٤). وحتى تُغلب الخطيئة يحتاج الإنسان للنعمة التي تجعله إنساناً جديداً، مولوداً من الله، يسكن فيه الروح القدس الذي يُعطي الغلبة على الخطيئة "فَإِنَّ الْخَطِيئَةَ لَنْ تَسُودَكُمْ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ". وهذا ما أكَّده الرسول بولس، عندما اختبر النعمة فقال: "لَأَنَّ نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ" (رومية ٨: ٢).

إذن، موت المسيح مصلوباً أخرجنا من دائرة سيادة النَّامُوسِ، وأدخلنا في عهد النعمة التي أعطينا بالروح القدس القوة لنغلب الخطيئة، وهو ما لم يكن في سلطان النَّامُوسِ أن يفعله. لذلك اذكر هذا الحق، المسيح حررنا بالشراء، أي افتدانا. وإذ افتدانا أصبحنا مُملكه، ولأننا مُملكه ينبغي أن نعيش لأجله.

ثالثاً- افتدانا من سلطان الخطيئة.

"٦ غَالِبِينَ هَذَا: أَنَّ إِنْسَانَتَا الْعَتِيقِ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُطْلَلَ جَسَدُ الْخَطِيئَةِ كَيْ لَا نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضاً لِلْخَطِيئَةِ. ٧ لِأَنَّ الَّذِي مَاتَ قَدْ تَبَرَّأَ (تحرر) مِنَ الْخَطِيئَةِ" (رومية ٦).

يخبرنا الرسول بولس عن حالته قبل الإيمان فيقول: "الْإِرَادَةُ حَاضِرَةٌ عِنْدِي وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ" (رومية ٧: ١٨). إنه صراع بين إرادته وبين الخطيئة، يريد أن يفعل ما يرضي الله لكنه لا يستطيع، فيفعل ما لا يريد، "فَإِنْ كُنْتُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ إِنِّي أَفْعَلُ فَلَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُهُ أَنَا بَلِ الْخَطِيئَةُ السَّكِنَةُ فِيَّ" (رومية ٧: ٢٠). فيصرخ قائلاً: "وَيْحِي أَنَا الْإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُتَّقِدُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا الْمَوْتِ؟" (رومية ٧: ٢٤). إن ما يدعوه هنا "جَسَدِ هَذَا الْمَوْتِ"، يدعوه في مكان آخر "جَسَدُ الْخَطِيئَةِ"، أو "إِنْسَانَتَا الْعَتِيقِ". فما الإنسان العتيق؟

إنَّه طبيعتنا القديمة الفاسدة قبل الإيمان.

إنَّه كل ما كُنَّا عليه كأولاد آدم بمختلف ميولنا ورغباتنا الشريرة.

إنَّه الطبيعة التي تحارب صلاح الله، وتريد أن تعيش بعيداً عنه، وهي قوية جداً، وذات سلطان يفوق إرادتنا في عمل الخير.

إن إيماننا بالمسيح يعني اتحادنا به، وإذ صُلب المسيح، صُلب معه إنساننا العتيق. وكما مات المسيح على الصليب، هكذا مات إنساننا العتيق، وصار يُدعى "جَسَدِ كُفَّ الْمَائِتِ" (رومية ٦: ١٢). بمعنى أنَّه قد جُرِّد من سلطانه وأُبطل مفعوله، لكي لا نُستعبد أيضاً للخطية، فقبضتها الخائفة لحياتنا قد حُطِّمت، ونحن العاجزين أَعْتَقْنَا مِنْ أَسْرَهَا، لنفعل الآن كل ما يرضي الله، "لأنَّ الَّذِي مَاتَ قَدْ تَبَرَّأَ (تحرر) مِنَ الْخَطِيئَةِ"، "وَإِذْ أُعْتِقْتُمْ مِنَ الْخَطِيئَةِ صِرْتُمْ عَبِيداً لِلْبِرِّ" (رومية ٦: ١٨). "وَصِرْتُمْ عَبِيداً لِلَّهِ فَلَكُمْ ثَمْرُكُمْ لِلْقَدَاسَةِ وَالنَّهَائَةِ حَيَاةً أَبَدِيَّةً" (رومية ٦: ٢٢).

يا لها من بشارة سارة، أن كل من آمن بالمسيح قد خَلَعَ إنسانه العتيق كثياب بالية، وارتدى الإنسان الجديد، الذي يعاف الخطية ويكرهها، ويعمل مرضاة الله كما يحق لإنجيل المسيح. ومن الآن فصاعداً لسنا نجاهد لنغلب الخطية، لأن الخطية فقدت سلطانها على حياتنا، وذلك بفضل فداء المسيح الذي تمَّ على خشبة الصليب. لذلك اذكر هذا الحق، إن المسيح حررنا بالشرء، أي افتدانا. وإذ افتدانا أصبحنا مُملكه، ولأننا مُملكه ينبغي أن نعيش لأجله.

رابعاً— افتدانا من سلطان إبليس.

"١٤ فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الْأَوْلَادُ فِي اللَّحْمِ وَالْدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبَيِّدَ (يكسر) بِالْمَوْتِ (شوكة) ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيُّ إِبْلِيسَ، ١٥ وَيُعْتِقَ أَوْلِيكَ الَّذِينَ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ" (عبرانيين ٢).

تقول كلمة الرب: "بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِاخْطِئَةِ الْمَوْتِ وَهَكَذَا اجْتَنَزَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ" (رومية ٥: ١٢). وهذا يعني أنّ الخطيئة دخلت لأول مرّة إلى العالم من طريق الشيطان، ومع الخطيئة دخل حُكم الموت، وقد حتمت قداسة الله أن يكون الموت من نصيب جميع الذين يخطئون. وهكذا باستطاعة الشيطان لأنه خصم، أن يطالب جميع الذين يخطئون بضرورة دفع الجزاء، أي الموت. ولا غرابة في ذلك، إذ يدعو الكتاب المقدس بالمُشتكي، فهو يشبه ممثل النيابة في المحكمة، الذي يقف أمام القاضي مطالباً بإنزال أشدّ العقوبات على المُتَّهِم. وإذا ارتبط اسم الشيطان بالموت قيل عنه "الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ".

إن الإنسان الطبيعي يخشى الموت لأنه "وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّيْنُونَةُ" (عبرانيين ٩: ٢٧). قد لا يخاف الرجل الشجاع من الموت الجسدي، ولكن إذ يُفكر بالدينونة الأبدية والوقوف أمام الله ترتعد مفاصله، وينحلّ خزر حقويه، حتى لو كان ملكاً مثل بَيْلْشَاصَّر الكلداني، إذ عند الموت، "تَعَيَّرَتْ هَيْئَةُ الْمَلِكِ وَأَفْرَعَتْهُ أَفْكَارُهُ وَانْحَلَّتْ خَزَرُ حَقْوِيهِ وَاصْطَلَّتْ رُكْبَتَاهُ" (دانيال ٥: ٦). أو ملكاً مثل حَزَقِيَّا العبراني، عندما مَرَضَ للموت "فَجَاءَ إِلَيْهِ إِشْعِيَاءُ بْنُ أَمْوَصَ النَّبِيُّ وَقَالَ لَهُ: «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: أَوْصِ بَيْتَكَ لِأَنَّكَ تَمُوتُ وَلَا تَعِيشُ». ٢ فَوَجَّهَ حَزَقِيَّا وَجْهَهُ إِلَى الْحَائِطِ وَصَلَّى: ٣ «آه يَا رَبُّ اذْكُرْ كَيْفَ سِرْتُ أَمَامَكَ بِالْأَمَانَةِ وَبِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَفَعَلْتُ الْحَسَنَ فِي عَيْنَيْكَ». وَبَكَى حَزَقِيَّا بُكَاءً عَظِيماً" (إشعياء ٣٨). فالخوف من الموت، قد جعل الناس كلّ حياتهم تحت العبودية.

انظر إلى الشيطان كيف سلَّطَ خوف الموت على رؤوس الناس، وكيف ساقهم إلى الألم، وحول دياناتهم إلى خرافات، وجعلهم يرتكبون أعمالاً لا تصدق من الفظاعة والقسوة، بسبب خوفهم من الموت. إنّه سيّد ديانة الإنسان، الذي جعل جُلَّ العبادة فيها، من إملاء الخوف من الموت.

وأما الآن، فقد جاء المسيح وأعتق المؤمنين به من خوف الموت. كيف؟ بموته، "الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسَهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْحَشَبَةِ... الَّذِي بِجِلْدَتِهِ شَفِيتُمْ" (١ بطرس ٢: ٢٤). وإذ دفع ثمن خطايانا أمام عدالة الله، "إِذَا لَا شَيْءٍ مِنَ الدَّيْتُونَةِ الْآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (رومية ٨: ١). "مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللَّهِ؟ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ!" (رومية ٨: ٣٣). وهكذا أصبح الموت عدونا «ملكك الأهل» مجرد خادمٍ يفتح لنا الباب إلى حضرة الرب سيّدنا، لنتمتع بحلاوة الشركة معه، منتظرين قيامة الأجساد.

والآن اسمح لي أن أسألك: هل استبعد عملُ المسيح منك فعلاً كل خوف من الموت حتى تستطيع أن تكون في سلام واطمئنان؟ أتستطيع أن تضطجع بهدوء موقناً أنك ستمضي في سلام إلى الأبدية؟ هذا ما جاء المسيح لأجله. لذلك اذكر هذا الحق، إن المسيح حررنا بالشرء، أي افتدانا. وإذ افتدانا أصبحنا مُملكه، ولأننا مُملكه ينبغي أن نعيش لأجله.

خامساً- افتدى أجسادنا (مستقبلاً).

"٢٢ فَإِنَّمَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ نَشِئُ وَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الْآنَ. وَلَيْسَ هَكَذَا فَقَطُ بَلْ (أَيْضاً) نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بِأَكُورَةُ الرُّوحِ نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضاً نَشِئُ فِي (قَرَارَةٍ) أَنْفُسِنَا مُتَوَقِّعِينَ التَّبَيُّ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا" (رومية ٨: ٢٣).

هل مات المسيح ليفدي أرواحنا فقط؟ الرسول بولس يقول، كلا، بل مات المسيح ليفدي أرواحنا وأجسادنا أيضاً. ونحن كمؤمنين ما زلنا نَشِئُ تَلْهُفًا إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَجِيدِ، يوم الاختطاف، حيث فيه نخلع هذه الخيمة، أو نلبس فوقها أجسادنا الممّجدة. أما سبب الأنين، فهو الضعف الملازم لهذا الجسد، من مرض وألم وشيخوخة وموت.

نحن الآن أولاد الله بأرواحنا، وأولاد آدم بأجسادنا، ونتوقع مستقبلاً أن نكون أولاد الله بأرواحنا وأجسادنا بناءً على عمل المسيح الكامل على الصليب. "أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ،

الآن نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ" (١ يوحنا ٣: ٢). ولكن متى ظهرَ المسيح "سَيُعَيَّرُ شَكْلُ جَسَدٍ تَوَاضَعْنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدٍ مَجْدِهِ" (فيلبي ٣: ٢١). يكتب الرسول بولس للمؤمنين الأحياء عند مجيء المسيح لاختطاف كنيسته قائلاً: "٥١ هُوَذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لَا تَرْفُذُ كُلَّنَا وَلَكِنَّا كُلَّنَا نَتَغَيَّرُ ٥٢ فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ عِنْدَ الْبُوقِ الْآخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيَبْقَى قِيَامُ الْأَمْوَاتِ عَدِيمِي فَسَادٍ وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ. ٥٣ لِأَنَّ هَذَا الْقَاسِدَ لَا بُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ وَهَذَا الْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ" (١ كورنثوس ١٥).

ويكتب للمؤمنين الذين ماتوا قبل الاختطاف قائلاً: "٤٢ هَكَذَا أَيْضاً قِيَامَةُ الْأَمْوَاتِ: يُزْرَعُ فِي فَسَادٍ وَيُقَامُ فِي عَدَمِ فَسَادٍ. ٤٣ يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ. يُزْرَعُ فِي ضَعْفٍ وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ. ٤٤ يُزْرَعُ جِسْماً حَيَوَانِيّاً وَيُقَامُ جِسْماً رُوحَانِيّاً" (١ كورنثوس ١٥).

يا له من فداء! هل أنت مريض وتعاني لأنك تحت الألم بأشكاله المختلفة؟ هل الشيخوخة تُرهقك؟ هل رُكبت ضعيفة ويداك مرتعشتان؟ هل تعاني من تشوه في جسدك؟ أو أنت مُقعد في فراشك؟

لن يطول الوقت، ثِقْ حبيبي فإن الشمس خلف الغيمة، وكل هذا الضعف إلى زوال، ليأتي بديلاً منه المجد والقوة. لذلك اذكر هذا الحق، المسيح حررنا بالشرء، أي افتدانا. وإذ افتدانا أصبحنا مُملكه، ولأننا مُملكه ينبغي أن نعيش لأجله.

خاتمة:

لقد مات المسيح على الصليب ليحقق لنا نتائج عظيمة، وهذا ما نسميه الفداء. فقد افتدانا المسيح من لعنة التَّاموس، ومن التَّاموس ذاته، ومن سلطان الخطية، ومن سلطان إبليس، ومن أجسادنا الضعيفة. لذلك اذكر هذا الحق، إن المسيح حررنا بالشرء، أي افتدانا. وإذ افتدانا أصبحنا مُملكه، ولأننا مُملكه ينبغي أن نعيش لأجله.

له كل المجد في الكنيسة إلى جيل أجيال دهر الدهور. آمين.

الافتخار بصليب المسيح

"وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ" (غلاطية ٦: ١٤)

مقدمة: كلُّ مَنْ يفتخر بموضوع معيّن، اليوناني مثلاً، يفتخر بالثقافة التي ينتمي إليها، أمّا اليهودي فيفتخر بالحثان إذ يُعَدُّه علامة العهد مع الله، أمّا كنيسة لاوْدِكِيَّة فكانت تفتخر بغناها وتقول: "أَنَا غَنِيٌّ وَقَدْ اسْتَعْنَيْتُ، وَلَا حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ" (رؤيا ٣: ١٧). وفي أيامنا هذه لا يختلف الأمر كثيراً، فما أكثر الناس الذين يفاخرون بما يملكون من ثروة أو مركز سياسي، أو شهادات علمية، أو أبناء، أو جمال، وما شابه. الكل يفتخر بأمر يخصّ العالم، وهم لا يعلمون أن العالم بكلِّ ما فيه إلى زوال.

التفسير الوعظي: هكذا أيضاً على صعيد الأمور الروحية، هناك من يفتخر بالطقوس، أو بحجم الكنيسة، أو بعدد المؤمنين فيها، أو بمهارة خادمها، وهذه كلّها أمور معرّضة للزوال، وتفقد قيمتها بمرور الوقت. لكنّ الرسول بولس يؤكّد لنا أنه يوجد شيءٌ مهمّ نستطيع أن نفاخر به، وهو لا يفقد قيمته بمرور الزمان، أو بتغيير المكان، هو صليب ربنا يسوع المسيح، لذلك يقول بلسان كل المؤمنين: "وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ".

جملة انتقالية: وبناء عليه يقدم لنا الرسول بولس ثلاثة أسباب تدعوه لهذا الفخر، سنتأمل فيها بنعمة المسيح لترسخ هذه القناعة لدينا، وبالتالي نجاهر في الصليب كعلامة للافتخار.

أولاً- نفتخر بالصليب، لأنه صليب ربنا يسوع المسيح.

منذ حوالي ألفي عام كان الصليب رمزاً للذل والعار، لأنه أقسى وأشنع عقوبة تُنزّلها الأمة الرومانية بالعبيد، أو اللصوص والجرمين. وعلى الرغم من أنه وسيلة عذاب جسديّة رهيبة، لكن آلامه النفسية من الخزي، والعار الذي يلحق بالمصلوب وعائلته، مُروعة أكثر.

من أجل هذا عُدَّ الصَّليب بالنسبة إلى اليهودي أمراً غير مقبول، وهو عشرة. أمّا بالنسبة إلى غير اليهودي -الأممي- فَعُدَّ كذلك غير مفهوم، وهو جهالة.

لكن عندما نُفَّذ حُكْم الصَّلب بشخص المسيح تحول الصَّليب من تلك اللحظة، من رمز للذل والعار، إلى قوة الله للخلاص، وصار شعار كل مسيحي على مدار السنين، وسبب فخر لا ينتهي ولا يزول، فردّد الملايين قول الرسول بولس، "وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَحِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ".

إن الصَّليب الذي افتخر به الرسول بولس ليس صليب أي شخص، فقد علّق على الصَّليب عشرات الألوف من المجرمين ومن المظلومين، وأي منهم لم يعن صليبه لبولس شيئاً، لكنّ صليباً واحداً فقط من بين كلِّ الصُّلبان، تكلم عنه وافخر به، هو صليب ربنا يسوع المسيح الذي قيل عنه، "قَالَ الرَّبُّ لِيَرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ" (مزمو ١١٠: ١).

إنه صليب من "رَفَعَهُ اللَّهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَجَثُّو بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبُّ لِمَجْدِ اللَّهِ الْآبِ" (فيلي ٢: ٩-١٠).

إنه صليب الذي قيل عنه: "لأنّ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ" (١ كورنثوس ٢: ٨).

قد يُخِيل لبعضهم أن كل من يُصلب هو ضعيفٌ عاجزٌ بلا قوّة. هذه القاعدة صحيحة، لكن لها استثناءً واحداً فقط، هو الرّب يسوع المسيح، الذي على الصَّليب قيل عنه، "جَرَدَ الرِّيَّاسَاتِ وَالسَّلَاطِينَ اشْهَرَهُمْ جَهَاراً، ظَافِراً بِهِمْ فِيهِ" (كولوسي ٢: ١٥). وهكذا تحول الصَّليب إلى قوّة الله للخلاص لكل من يؤمن. وصار طريق المصالحة الوحيد بين الله والإنسان، إذ هو القوة التي تحرر الإنسان من سيطرة الخطية والشیطان. من أجل ذلك نقول مع الرسول بولس: "وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَحِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ".

لقد اختار الله الصَّليب منذ الأزل طريقاً للمصالحة، ولن يغير فكره ومقاصده حتى لو غيّر وبدّل كلّ النَّاس أفكارهم ومقاصدهم نحو الله.

إن نظام العبادة الذي علّمه الله للبشر قديماً يشير بشكل رمزي إلى الصَّليب، حيث كان العابد كلّما أخطأ يُحضر ذبيحةً أمام الله، ويضع يده عليها علامة اتحاده بها، ثمّ يعترف بخطيته، ويذبح الذبيحة تكفيراً عن خطاياه، وبالإيمان تُغفر خطيته. وعندما جاء المسيح في ملء الزمان قال عنه يوحنا المعمدان "هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ" (يوحنا ١: ٢٩)، لأنه المرموز إليه بكل تلك الذبائح. لذلك نحن العابدون الآن لا نتكل على ذبائح حيوانية، بل على المرموز فيها، ذبيحة المسيح التي علّقت على الصَّليب، وبالإيمان بها يُكفّر عن خطايانا كما هو مكتوب، "إِنَّ اللَّهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ" (٢ كورنثوس ٥: ١٩).

إننا نشكر الله من أجل صليب ربنا يسوع المسيح، الذي جعل المصالحة ممكنة بين النَّاس والله، من أجل هذا نفتخر بالصَّليب ونقول مع الرسول بولس: "وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَحِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ".

ثانياً- نفتخر بالصَّليب، لأنه صليب العالم.

"وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَحِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلبَ الْعَالَمُ لِي".

بولس الرسول يفتخر بالصَّليب أيضاً، لأنه صليب العالم.

إنَّ العالمَ الحاضر الذي نعيش فيه قد وُضع في الشرير، ومن ثمَّ فإنَّ كل ما يخص العالم يخص الشرير، لذلك تقول كلمة الله "لَا تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ. إِنَّ أَحَبَّ أَحَدٍ الْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الْآبِ لِأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ شَهْوَةٌ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةُ الْعُيُونِ، وَتَعْظُمُ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الْآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ" (١ يوحنا ٢: ١٥). فكل ما يدخل تحت الشهوة الرديئة، أو النزوة، وكل ما يثير الرغبات الجاحمة، وكل

ما يُنهض فينا الكبرياء، هذه كُلُّها جزء من النظام العالمي الشيطاني الذي قد صدر عليه الحكم الإلهي بالصَّلب.

إن الله قد أعلن بالصَّليب حُكم الموت على العالم الحاضر الشرير، وفي هذا درس لنا لكيلا نُمسك بالعالم، ولا نفتخر بكل ما يخصه، لأنَّ العالم يمضي وشهوته- ليس للمجد- بل للاحتراق والموت، حيث في النهاية "تَحُلُّ الْعَنَاصِرُ مُحْتَرَقَةً، وَتُحْتَرِقُ الْأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا" (٢ بطرس ٣: ١٠).

صحيح أنَّ نهاية العالم لم توضع بعد، لكنَّ الأمر الإلهي قد تقرر، وما هو إلا وقت معين حتى تَدُقَّ السَّاعَةُ الإِلَهِيَّةُ مُعْلِنَةً صَلْبَ الْعَالَمِ.

أيها المؤمن لا تتعلق بالعالم، ولا تسمح لعيونك أن تشتهي، لأنك ستقضي عمرك وأنت تحاول أن تحصل على أمور تتركها عند قبرك.

أيها المؤمن، لا تسمح لجسدك أن يشتهي الأمور الشريرة فيسقط في النجاسة. أيها المؤمن، لا تسمح لنفسك أن تَسْقُطَ في تَعَظُّمِ المعيشة، الذي هو طموح غير مقدس، نابغ من حُبِّ الظهور، وطلب الجحد الذاتي.

إن محبتك أيها المؤمن للعالم لا تتلاءم مع محبتك للآب، فتدَّكَّر أرجوك، أن العالم يمضي وشهوته، أمَّا الذي يصنع مشيئة الله فهذا يثبت إلى الأبد.

تصور لو أن بنكاً أوشك على إعلان إفلاسه، ثمَّ يأتي أحدهم على الرغم من معرفته بهذا الأمر ليدودع أمواله فيه، ماذا تقول عنه؟

تصور لو أن أحد العمال وضع أساساً متقلقلاً، ثم جاء آخر وبنى عليه بناءً ضخماً على الرغم من معرفته أن الأساس متقلقل، ماذا تقول عنه؟ هكذا تماماً من يبني حياته على هذا العالم الزائل مع شهوته.

أيها المؤمن لا تعش لعالم يمضي، لكن عِش حياتك وأنت تصنع مشيئة الله، فتثبت للأبد، وردد مع الرسول بولس، "وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَحَرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي".

تذكر أيها المؤمن أنّ العالم مصلوب، أنّ العالم مائت عن قليل. إنها حقيقة كلما فكرت فيها وتيقنت صدقها، كلما خفت تأثير العالم على حياتك.

لا يستطيع المؤمن أن يثق بالعالم، ولا أن يفتخر به، ولا أن يحترمه، فقد خسر مجده، وفقد قدرته على إغراء المؤمن، والتحكم به، لأن الصليب توسط بينه وبين العالم. لاحظ كم كان هذا الفكر قوياً عند الرسول بولس عندما كتب هذه الكلمات لأهل كورنثوس "٢٩ فَأَقُولُ هَذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ: الْوَقْتُ مُنْذُ الْآنَ مُقْصَرٌّ لِكَيْ يَكُونَ الَّذِينَ هُمْ نِسَاءً كَأَن لَيْسَ لَهُمْ ٣٠ وَالَّذِينَ يَبْكُونَ كَأَنَّهُمْ لَا يَبْكُونَ وَالَّذِينَ يَفْرَحُونَ كَأَنَّهُمْ لَا يَفْرَحُونَ وَالَّذِينَ يَشْتَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ ٣١ وَالَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ هَذَا الْعَالَمَ كَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَهُ. لِأَنَّ هَيْئَةَ هَذَا الْعَالَمِ تَزُولُ" (١ كورنثوس ٧). فالمؤمن لا يفتخر بما يخص العالم، لكن بالصليب الذي هو حكم الله على العالم.

أما الإنسان الطبيعي غير المولود من الله، غير المؤمن بالمسيح، فما زال العالم متسلطاً عليه، ولا قوة له للخلاص من قبضته. لذلك يميل عكس المؤمن إلى الافتخار بكل شيء سوى الصليب، كالصيت، والنجاح الدنيوي، والغنى، والمقام، ولا يريد أن يُصلب العالم لأنه مصدر لذاته. فإن كنت كذلك تذكر أن العالم يمضي وشهوته، وأن حكم الموت قد صدر على العالم، فتعال إلى المسيح وآمن به، هو يحرك من سلطان العالم ومغرياته، ويعطي لقلبك الشبع والاكتماء لترفض العالم وما فيه من فخر، ليكون فخرك فقط هو صليب ربنا يسوع المسيح، فتقول مع الرسول بولس: "وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ".

ثالثاً- أفتخر بالصليب، لأنه صليبي.

"الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ".

عندما يفحص الإنسان نفسه بصدق على ضوء كلمة الله سيرى وبكل بساطة ووضوح أنه إنسان خاطئ يستحق عقوبة الموت، بل عقوبة الموت صلباً لأنها عقوبة العار.

إن بولس الرسول ككل المؤمنين أدرك أنه يستحق عقوبة الموت، ولكن نعمة الله، ومحبه العظيمة لم تقبل موته، فرتبت البديل، ليتم قول الكتاب، "وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ مُحَبَّتَهُ لَنَا لِأَنَّهُ وَخَنُ بَعْدُ خُطَاةً مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا" (رومية ٥: ٨).

إن الصَّليب في الحقيقة هو صليب الخطاة، لكن شكرًا لله إلى الأبد، لأنَّ المسيح طوعاً، حمل خطايانا عليه، فحوله من طريقٍ للموت عاراً، إلى طريقٍ للمصالحة بين الله والإنسان. لذلك نحن كبولس الرسول نفتخر بالصَّليب ونقول: "وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَحِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ".

وبما أنني مصلوبٌ فأنا المَيِّتُ للعالم. فمهما حاول العالم أن يُغريني أو يقودني في طريق الخطيئة فلن أتناوب معه لأنني مَيِّتٌ، بل جثَّةٌ هامدةٌ لا تتجاوب مع صوت العالم، لا بالتشويق، ولا بالترغيب، ولا بالقوة، فالحواس ميَّتة. يُكلِّم العالم المؤمن فلا يسمع، يلمسه فلا يحس، يريه مناظر كثيرة فلا يرى، إنه مَيِّتٌ لا ينجذب لكل أعماله.

يا له من امتيازٍ عظيم أن يكون صليب ربنا يسوع المسيح هو القوة التي بها يستطيع المؤمن أن يتحرر من هذا العالم الذي يمضي وشهوته. لذلك نردد مع الرسول بولس، إننا لا نفتخر بما يخص العالم، لكن بالصَّليب الذي هو حُكم الله على العالم ونقول: "وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَحِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ".

خاتمة:

ثلاثة أسباب تدعونا للفخر بصليب المسيح:

١. لأنه صليب ربنا يسوع المسيح.

٢. لأنه صليب العالم.

٣. لأنه صليبي.

ولأنَّ هذه الأسباب لا تتغير بتغير المكان أو الزمان، فإن الصَّليب فخرنا، لا تتغير قيمته، ولا يفقدها بمرور الوقت، لذلك نستطيع أن نقول في كل زمان وكل مكان، "وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَحِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ".

اسمح لي أن أسألك في هذا الوقت: ما هو الشيء الذي تفخر به؟ هل هو مُعَرَّضٌ للزوال، ويفقد قيمته بمرور الوقت؟ إن كان كذلك فأدعوك اليوم لأن تراجع حساباتك، وموقفك من الصَّليب. أدعوك أن تفكر ملياً بما يعطيك السعادة والفخر، فإن كان يمضي ستمضي معه، وإن كان باقياً فستبقى معه، وصلاقي للرب يسوع أن تقبل الصَّليب شعاراً لك تفخر به طول الأيام.

ولإلهنا كل المجد إلى الأبد. آمين.



كُتِبَ لِلْمُؤَلِّفِ

- (١) عالم يتغير برسالة لا تتغير ج ١، ٢٦٣ صفحة. لاهوت نظامي. صَدَرَ في دمشق، ٢٠٠٥.
- (٢) هل حقاً يسكن الله في خيمة، ١٦٠ صفحة. دراسة تأملية. صَدَرَ في القاهرة، ٢٠٠٧.
- (٣) الكنيسة والعبادة، ٢٣٧ صفحة. عقائد. صَدَرَ في دمشق، ٢٠٠٨.
- (٤) مُخَلِّصُ الْعَالَمِ، ٤٤٦ صفحة. دراسة انجيلية، صَدَرَ في دمشق، ٢٠١٢.
- (٥) الحقيقي والمزيف، ٨٠ صفحة. أفاصيص. صَدَرَ في دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٣.
- (٦) هل نحتاج الى الله، ١١١ صفحة. دراسة تأملية. صَدَرَ في دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٥.
- (٧) عالم يتغير برسالة لا تتغير ج ٢، ١٨٥ صفحة. لاهوت نظامي. صَدَرَ في دمشق، ٢٠١٦.
- (٨) من يصنع هُويَّتي، ٨٦ صفحة. بحث اجتماعي مسيحي. صَدَرَ في دمشق، ٢٠١٧.
- (٩) ملائكةُ اللَّهِ الْمُقْتَدِرُونَ قُوَّةً، ١١٧ صفحة. دراسة تأملية. صَدَرَ في دمشق، ٢٠١٨.

أُخَيَّنْتُ فَرِيضَتَكَ

سلسلة كتب تصدرها

كنيسة الإتحاد المسيحي الإنجيلية - سورية

"طَلَبُوا الْكَفَّةَ بِغُلْ تَقَابُذْ"
طَاجِيجُ الْكَلْبِ كُلُّ يَوْمٍ: هَلْ
هَذِهِ الْأُمُورُ هَكَذَا؟ (امسك 11: 17)

9 789784 276493 > 2-05473-4



9 789784 276493 >